السبت 14 آذار 2020
العدد 4005 السنة الرابعة عشرة
Samedi 14 Mars 2020 no 4005 14ème année

32 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

سلافوي جيجيك
كورونا آخر
مراحل الرأسمالية

«كابيتال كونترول» غازي وزني
في خدمة رياض سلامة وأصحاب البنوك [2]

دعوة لمواجهة وطنية شاملة لـ«تهديد كورونا»
نصرالله للمصارف: بادِروا إلى المساعدة [2]

العالم في الحجر

- إصابات لبنان 78: نسب الانتشار غير مُقلقة... حتى الآن؟
- اعتراف أميركي يعزّز الشكوك الصينية: وفيات بكورونا سُجّلت في خانة الإنفلونزا
- أوروبا بؤرة الوباء... وترامب يعلن الطوارئ

[6 ـ 9]

(إيتيان لوران/ أ ف ب)

المشهد السياسي

دعوة لمواجهة وطنية شاملة لـ «تهديد كورونا»
نصرالله للمصارف: بادروا إلى المساعدة

اطلاق الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله موقفاً بشأن مواجهة وباء كورونا، داعياً إلى التكاتف الشعبي والحكومي، ومطالباً المصارف بتقديم مساعدات مالية للحكومة. كذلك شدّد على رفض اي ضرائب على الفقراء ومحدودي الدخل للحصول على قروض من صندوق النقد الدولي

قدّم الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله أمس، مطالعةً سياسيّة - اجتماعية بشأن الخطر الذي يعانيه لبنان والعالم جرّاء فيروس كورونا المستجدّ، مشبّهاً الوضع الحالي بأنه حالة حرب. وتميّزت خطبة نصرالله أمس، بالدعوة إلى أوسع تكاتف وطني واجتماعي وسياسي للنجاة من تهديد الوباء. وفيما قدّم كامل الدعم للحكومة على المستوى السياسي والمعنوي وحتى المادي عبر وضع قدرات حزب الله بتصرّفها في مساعيها لمنع تفشّي المرض، دعا

نفى نصرالله الشائعات شأن تستر وزارة الصحة وحزب الله على إصابات كورونا

نصرالله المصارف، كما في الكثير من دول العالم، إلى مدّ يد العون للدولة والشعب اللبناني في هذه المحنة.

وقال: «نحن في خضم معركة عالمية تخوضها دول العالم وشعوبه، علينا أن نواجه لا أن نستسلم، لأن الخطر في هذا التهديد ليس فقط على الاقتصاد والمدارس، وإنما على حياة الناس وبقائهم». وشدّد على أن هذه المواجهة «لا تحتمل الانقسام، كما حصل في تهديدات إسرائيلية سابقة». ولفتَ إلى أن «المسؤولية في لبنان ليست فقط على وزارة الصحة، بل على الجميع وكل قطاعات الدولة، وعلى الشعب اللبناني، وعلى كل الموجودين على الأرض اللبنانية من مواطنين فلسطينيين وسوريين».

وحدد هدف المعركة بانتظار أن يتم اكتشاف دواء للوباء: «علينا الحد من الخسائر البشرية في الدرجة الأولى، منع الانتشار قدر الإمكان ومعالجة الحالات المصابة». ودعا اللبنانيين في القرى والمدن والأحياء إلى التكاتف في ما بينهم، لمنع انتقال خطر الوباء إلى خطر الجوع، مع الإقفال العام في البلاد، كما إلى أن «تسود الإيجابية الروحية لهذا التعاون، لأن الظرف ليس مناسباً للتنافس والمزايدة والسجال السياسي، نحن أمام معركة إنسانية بالكامل، وعلينا أن نخوضها بروح إنسانية بالكامل». ودعا اللبنانيين إلى الاستجابة لقرارات الحكومة الرامية إلى الحد من الانتشار، معتبراً هذا الأمر واجباً وطنياً وإنسانياً وأخلاقياً ودينياً. وطالب نصرالله بالابتعاد عن التجمعات، «ولو لتشييع شهداء».

ونوّه بشفافية وزارة الصحة، داحضاً الشائعات عن تستر وزارة الصحة وحزب الله عن وجود حالات ولم يعلن عنها.

وتحدّث في المقابل عن «عدم صدقية بريطانيا التي تسترت على أعداد المصابين، الى ان بدأت تعلن ان العدد يصل إلى عشرة آلاف إصابة». وانتقد أيضاً الرئيس الأميركي دونالد ترامب على هذه المسألة، واصفاً إياه بأنه «الكذاب الكبير»، وكذلك بالنسبة إلى وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو. وقال: «هذا الكذاب الأكبر ترامب، يعرض المساعدة على إيران»، طالباً منه «مساعدة نفسه، وأن يرفع العقوبات عن إيران وبخاصة لجهة التجهيزات الطبية».

(مروان بوحيدر)

وخصّ نصرالله المصارف اللبنانية بتذكيرها بواجباتها، وهي التي استفادت طوال العقود الماضية من الأرباح الخيالية والفوائد على الدين العام والآن تحتجز ودائع اللبنانيين، مذكّراً أصحاب المصارف بالمساعدات العاجلة التي قدّمها أمثالهم في دول أخرى لدعم حكوماتهم وشعوبهم، داعياً «المصارف اللبنانية إلى أن تقدم على هكذا خطوة، بخاصة وأن هذه المصارف حققت أرباحاً عالية في المرحلة السابقة». وجّه نصرالله الشكر إلى حكومة الرئيس حسان دياب والإجراءات التي تتخذها، و«هذه الحكومة ما زالت تحتاج الى وقت كي تستكمل إجراءاتها».

وعن الاستعانة بصندوق النقد الدولي قال إن «موقفنا واضح وبعيد عن أي التباس، وهو أننا لا نمانع لجوء الحكومة الى استشارة أي جهة، أو أن تقدم أي مؤسسة مساعدة ضمن ضوابط»، نافياً أن يكون حزب الله يرفض مساعدة خارجية للبنان. لكنّه أكّد أنه «إذا كانت مسألة قرض ولكن ضمن شروط لبنانية فلا مانع لدينا، ولكن إذا كان قرضاً مقابل توطين الفلسطينيين مثلاً فمن يقبل به؟».

لكنّه رفض بشكل قاطع «أي شرط لفرض رفع القيمة المضافة الى 15 في المئة، مقابل الحصول على قرض من صندوق النقد الدولي»، مكرّراً مطالبته المصارف اللبنانية بـ«المساعدة بكل كرم وأخلاق بسبب ما حققته من مليارات من الأرباح، قياساً بمن قدم أولاده شهداء حماية لهذا البلد»، متمنياً عليهم أن «يبادروا لا أن يجادلوا».

وختم نصرالله كلمته بإدانة العدوان الأميركي على منشآت وهيئات رسمية في العراق ليل أول من أمس، واصفاً إياه بـ«اجتياح للعراق لأنه تجاوز الحكومة العراقية»، مؤكداً أن «الجريمة التي ارتكبتها أميركا أمس ستلاقي الرد العراقي المناسب».

(الأخبار)

تقرير

«كابيتال كونترول» غازي وزني: في خدمة رياض سلامة وأصحاب المصارف!

بعد طول انتظار، تسرّبت «المسودّة الثالثة» من «مشروع تنظيم ووضع ضوابط استثنائية موقّتة على بعض العمليات والخدمات المصرفية»، أو مشروع قانون «كابيتال كونترول»، مقدّم من وزارة المالية.

ولم يشأ الوزير غازي وزني أن يكذّب الدلائل التي تؤكّد دائماً انحيازه إلى الضفة التي لا يقف عليها الفقراء وصغار المودعين، ودعمه للمصارف وحاكم المصرف المركزي رياض سلامة، بل اصرّ من خلال الخلل البنيوي الذي يعانيه مشروعه على هذا الدور.

وفيما كان الخوف في السابق من أن يمنح مشروع «الكابيتال كونترول» صلاحيات استثنائية لسلامة، مع الدور السلبي الذي لعبه ويلعبه بإغراق البلاد وحماية جشع المصارف، يشكّل مشروع قانون وزني جملة مخاطر، ليست محصورة في منح سلامة صلاحيات استثنائية، بل أيضاً في منح المصارف وجمعية المصارف هكذا صلاحيات للتعامل مع الودائع بالعملات الأجنبية، وفي نقض الهدف الرئيسي من طرح القانون في أساسه.

فهو يضع محطّة 17 تشرين تاريخاً مفصلياً وتحديده فاصلاً زمنياً لتصنيف الأموال والودائع والتحويلات بين قبل وبعد في المادة الثانية منه. وتحديد 17 تشرين، ليس استناداً طبعاً إلى الانتفاضة الشعبية التي اندلعت بعد القرار الغبي/ المشبوه من حكومة الرئيس سعد الحريري بوضع تعرفة على تطبيق «واتساب»، بل إلى القرار المشبوه للمصارف بالإقفال لمدّة غير مسبوقة في تاريخ لبنان.

وتنظّم المادة الرابعة مثلاً، عمليات تحويل الدولارات إلى الخارج بداعي دفع الأقساط والطبابة والمعيشة في الخارج، أي يسمح بإخراج الأموال بالعملات الصعبة إلى الخارج ولو بمبالغ صغيرة. في المقابل، فإنه في المادة السادسة لا يعفي رواتب اللبنانيين بالدولار من القيود في الداخل، كما يفعل مع الرواتب بالليرة اللبنانية، مع أنها تقع في خانة «الأموال الجديدة». وفيما يحرّر المشروع الأموال الجديدة للشركات الأجنبية مثلاً، إلّا أنه لا يحرّر تلك الأموال عندما تدفعها الشركات لموظفيها على شكل رواتب أو دفعات صغيرة لمشتريات وخدمات في السوق، بل يبقيها رهن مزاجية المصارف وقيودها الجائرة والاستنسابية التي ستصبح في حال إقرار المشروع قانونية!

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الشيكات بالعملات الأجنبية، فإنه تركها أيضاً رهن المصارف، بعدم التأكيد على قبضها «كاش»، ما يعني أنها ستحتجز في الحسابات المصرفية.

بعد مسودة وزني الثالثة، عودة سريعة إلى الأرقام، تظهر انحيازه الكامل إلى المصارف على حساب صغار المودعين الذين يشكّلون غالبية أصحاب الحسابات، لكن مجموع ودائعهم ليس سوى «الفتات» مقارنة بما يملكه كبار المودعين (84% من المودعين في لبنان يملكون فقط 8,2% من مجمل الودائع، وسقف حساباتهم لا يتجاوز 75 مليون ليرة لبنانية، أي أقل من 50 ألف دولار بسعر الصرف الرسمي).

وبدل أن يظهر في روحية المشروع الحفاظ على الأموال ومنع تهريبها إلى الخارج، يبدو وزير المال كمن يبحث عن حلّ لطبقة من اللبنانيين، تحديداً تلك التي تعيش أو تعلّم أبناءها في الخارج لتحريرها، ولو جزئياً، من القيود، عبر السماح لها بتحويل الأموال إلى خارج البلاد. كذلك يطلق المشروع يد المصارف والمصرف المركزي للإجهاز على ما تبقّى من أموال لصغار المودعين بالعملات الأجنبية، عوض إيجاد حل لهم.

يبدو وزني كمن يبحث عن حلّ للطبقة التي تعيش او تعلّم ابناءها في الخارج

المشروع لم يُعرض على مجلس الوزراء، ولا يزال قابلاً للتعديل. فهل ستتبناه الحكومة كما هو، أم أنها ستُلجم اندفاعة وزير المال نحو أصحاب المصارف ورياض سلامة؟

(الأخبار)

في الواجهة

عون لن يوقّع التشكيلات القضائية «مالم تُصحَّح»

يوماً بعد آخر تكتشف حكومة الرئيس حسان دياب ان المرجعيات المقيمة وراء الستار اقوى ممن هم في الواجهة. تعويلها كما مجلس القضاء الاعلى على إعادة الاعتبار إلى القضاء واسترجام الثقة العمياء به. يبدو انه يحتاج إلى وقت اطول وإلى اكثر من امتحان

نقولا ناصيف

دون إبصار المناقلات والإلحاقات والانتدابات القضائية الجديدة التي أنجزها مجلس القضاء الأعلى في 5 آذار، عقبتان: أولى من وزيرة العدل ماري كلود نجم التي لم تقل، بعد ملاحظاتها الأخيرة عليها، بأنها ستُوقّعها إذا أصرّ المجلس عليها، ولم تقل أيضاً بأنها لن تُوقّعها على نحو صدورها. ثانية هي رئيس الجمهورية ميشال عون الذي جزم سلفاً بأنه لن يُوقّع التشكيلات ما لم يُعد المجلس النظر في ما يعدّه الرئيس شوائب فيها.

العقبتان، القانونية والدستورية، تضعان مجلس القضاء في موقف حرج: إصراره على التشكيلات كما أقرها بالإجماع - وهو صلاحية قانونية له - دونما الإصغاء الى ملاحظات الوزيرة، سيُبقيها في أدراجه أو في أدراجها. الأمر نفسه بالنسبة الى رئيس الجمهورية، إذ تصدر التشكيلات في مرسوم عادي يُوقّعه هو ورئيس الحكومة والوزير المختص، من غير حاجته الى مجلس وزراء، ولا تسري عليه المهل المقيّدة للتوقيع كي يمسي نافذاً. بذلك يكون مجلس القضاء في أول اختبار له برئاسة رئيسه سهيل عبود أمام امتحان صعب. ناهيك بأن ثمة ما سيُثقل عليه، هو إقراره بالإجماع من مجلس أعضاؤه معيّنون في وقت سابق تبعاً لقاعدة المحاصصة والتقاسم بين المرجعيات السياسية، وآخر عضوين كبيرين فيه عيّنتهما حكومة الرئيس سعد الحريري، هما رئيسه عبود والمدّعي العام التمييزي غسان عويدات. إبراز إقرار المشروع بـ«الإجماع» أوحى، لوهلة، أنه يحظى بموافقة المرجعيات السياسية التي تقف وراء تعيين أعضاء المجلس العشرة هؤلاء، وتالياً مراعاة متطلباتها واسترضائها في توزيع المناصب.

في الكتاب الذي وجهته الى مجلس القضاء الأعلى في 10 آذار، على إثر تلقيها مشروع التشكيلات، سجّلت نجم ماخذها من غير أن تشير الى ردها إياه. إلا أنها دعت الى اجتماع مع أعضاء المجلس عقد الأربعاء، أخذة بالصلاحيات القانونية الممنوحة لها بما في ذلك ما نصت عليه المادة الخامسة في المرسوم الاشتراعي رقم 150 الصادر في 16 أيلول 1983، القائلة بأن التشكيلات القضائية التي يعدّها المجلس لا تصبح نافذة إلا بعد موافقة وزير العدل. عند نشوء خلاف بينهما يعقدان جلسة مشتركة للنظر في نقاط الخلاف. إذا استمر الخلاف واصرّ المجلس على التشكيلات بأكثرية سبعة من أعضائه، يكون قراره ملزماً ونهائياً. بيد أنها لا تصدر إلا بمرسوم يتخذ بناءً على اقتراح وزير العدل. بذلك يصبح مرسوم الوزير معبراً إلزامياً لعبوره كي يُوقّعه - أو لا يُوقّعه - رئيس الجمهورية.

تذكير الوزيرة بصلاحياتها القانونية اقترن، في الكتاب، ببضع ملاحظات، أبرزها اثنتان:

أولاهما: «أنني وقفتُ مع مجلس القضاء الأعلى في وجه أي تدخّل سياسي أو غير سياسي في عملية المناقلات والتعيينات، ولم أطالب باسم ولا بمركز ولا بموقع، مع الإصرار على أن تحترم هذه المناقلات والتعيينات مبدأ الشمولية في تطبيق المعايير الموضوعية التي حدّدها المجلس. أما التأكد من تطبيق هذه المعايير فهو من صلب صلاحياتي كوزيرة للعدل، لا بل من واجبي الوطني».

ثانيتهما: «كنت أتطلع الى أن يكون مشروع التعيينات والمناقلات مناسبة لكسر الممارسة الخاطئة على مدى السنوات الماضية التي قضت بتكريس المواقع القضائية، على أنواعها ودرجاتها، للطوائف والمذاهب، ما أدى الى تحويلها الى مراكز نفوذ ومحاصصة في المناطق اللبنانية المختلفة، ومنْع في كثير من الأحيان وصول القاضي المناسب الى الموقع المناسب، بغضّ النظر عن انتمائه الطائفي أو المذهبي».

إلا أن المراجعة المتأنّية لمشروع التشكيلات أفصحت عن بضعة معطيات، كانت مصدر تحفّظ الوزيرة رغم إشادتها بورود أسباب موجبة للمشروع، ترد للمرة الأولى في تاريخ تشكيلات مماثلة، التزم مجلس القضاء تطبيقها:

1 - عشية إصدار مجلس القضاء الأعلى التشكيلات في 3 آذار، رغبت نجم الى رئيسه في عقد اجتماع مطابقتها مبدأي الشمولية والمعايير الموضوعية لتفادي أي ملاحظة لاحقة. إلا أن عبود فضّل عقد الاجتماع لاحقاً بعد إصدارها. مع أن قانون المجلس يشير الى مثل هذا الاجتماع بعد صدور مشروع التشكيلات (المادة 5 من المرسوم الاشتراعي 150)، غير أن رغبة الوزيرة توخّت تجنب أي مأخذ، ما لبثت أن تحققت من وجود ثغر بعد تسلمها المشروع. في اجتماع الأربعاء 11 آذار أبدى أعضاء المجلس آراءهم لنجم، من غير بتّ التباين في الرأي. ثم عقد المجلس في اليوم التالي الخميس اجتماعاً آخر على أن يعود الى الاجتماع الاثنين المقبل لتحديد موقفه النهائي: الأخذ بملاحظات الوزيرة توطئةً لتوقيعها المرسوم، أو إصرار المجلس على الصيغة التي أقرها ما يفضي الى تجميد صدورها؟

2 - استمرار بعض قضاة النيابات العامة وقضاة التحقيق في مناصبهم يتناوبون على المواقع في ما بينهم، ومنهم مَن لزم المنصب نحو عشرين عاماً من غير أن يُقدم معظمهم - جراء انتماءاتهم الى مرجعيات سياسية - على ما تناولته الأسباب الموجبة للمشروع، وهو تعزيز مكافحة الفساد وهم المولجون النظر فيها.

فاجأنا نجم عدم امتلاك هيئة التفتيش «داتا» ملفات القضاة

3 - عدم الأخذ بقاعدتي المعايير الموضوعية والشمولية على نحو ما يرميان اليه. أجرى المجلس مقابلات مع قضاة واستثنى آخرين، فأخلّ بالنسبة الى تشكيلات النيابات العامة إذ افتقرت الى الشمولية. استُبدل قضاة النيابة العامة في بيروت وجبل لبنان وصيدا والنبطية، وأبقي قاضيا الشمال والبقاع، ما أعطى ذريعة للاحتجاج على إبدال أولئك والإبقاء على هذين، وأظهر الأمر كأنه استهداف قضاة قريبين الى فريق سياسي، شأن الغضب الذي عبّر عنه رئيس الجمهورية عندما تبلّغ إبعاد القاضية غادة عون فيما أبقي سواها، ما جعله يقول بأنه لن يقبل بأن يكون «باش كاتب»، وهو آخر مَن يُوقّع مرسوم إصدار التشكيلات. تالياً لن يُوقع الرئيس بالإكراه. تحفّظ الوزيرة ليس عن استبعاد القاضية عون بالذات، بل استثناء قضاة آخرين بإبقائهم في مناصبهم وعدم إخضاعهم للمناقلات، بعدما أصرّت على قاعدة الشمولية كي تطاول القضاة جميعاً بلا استثناء. وهو ما كانت توقّعته سلفاً.

4 - تدرك وزيرة العدل أن الحؤول دون إصدار التشكيلات القضائية يُرضي المرجعيات السياسية التي تفضّل إبقاء القديم على قدمه، كي تبقى إمساكها بمفاتيح السلطة القضائية ودوام المحاصصة فيها، رغم الخطوات الإيجابية المهمة التي تنطوي عليها التشكيلات. في المقابل تتمسك نجم بإبراز أول إنجاز معنية به، هو إقرار مناقلات وانتدابات خاضعة لمعايير التقت عليها ومجلس القضاء الأعلى. لم تتردّد في إطراء ما فعله، دونما إغفالها ملاحظاتها التي تحتّمها صلاحياتها القانونية المفضية الى تخويلها أول توقيع لمرسوم الإصدار. لذا لم تقل نجم بأنها ردّت المشروع، بل أبلغت الى المجلس ملاحظاتها تلك في الكتاب الذي وجهته اليه وطلبت بناءً عليه الاجتماع به.

5 - الأكثر مدعاة للاستغراب ما فوجئت به وزيرة العدل عندما طلبت من هيئة التفتيش القضائي الحصول على «داتا» ملفات القضاة. كان الجواب أن ليس عند الهيئة «داتا» شاملة بالقضاة، بنجاحاتهم وارتكاباتهم وانضباطهم، بل عوّل مجلس القضاء الأعلى عند تحضيره التعيينات على ذاكرة رئيسه بركان سعد بما يعرفه عن أولئك.

بنك عوده
توضيح حول حادثة فرع صور

عطفاً على الأخبار غير الصحيحة التي وردت على بعض الصفحات الإلكترونيّة، يشير بنك عوده إلى أنّ المحتجّين أمام فرع صور العبّاسيّة الذين يظهرون في الفيديو والصور المنشورة ليسوا عملاء البنك ولا تربطهم أيّ علاقة به. وبالتالي، فإنّ المزاعم باحتجاز أيّ راتب أو أيّة مبالغ ماليّة لهم ما هي سوى افتراءات لا أساس لها من الصحّة ويقصد بها التجنّي.

ويؤكّد البنك أنّ هذا الإشكال تسبّب به وحرّض عليه أحد عملائه فقط دون سواه، وقد أراد أن يتخطّى التدابير التي تطبّقها المصارف اللبنانيّة كافّة على عملائها.

وحرصاً منه على سلامة الجميع، قام بنك عوده بإقفال أبواب الفرع تجنّباً لأيّ خلل أمني قد يعرّض سلامة عملائه وموظّفيه.

وإنّ بنك عوده بدأ وسيتابع الإجراءات القانونيّة بحقّ أيّ مخالف يتعرّض له أو لأيّ من موظّفيه وعملائه.

قضية اليوم

الأزمة والخداع: كيف سينقذ «النظام» نفسه

عامر محسن

هناك شبحٌ يرهب الطبقة الحاكمة في لبنان، هو شبح الانهيار المالي. وفي لحظاتٍ كهذه، نتذكّر الأمثولة التي تعلّمناها من سقوط حسني مبارك عام 2011، حين ابتهجنا واعتبر العديد أنّ سقوط زعيمٍ بحجم مبارك هو النّصر الكامل ومُنتهى الظّفر. الصّوت الّذي لم يحضر بما فيه الكفاية يومها، أو قمعناه وسط صدمة السّقوط، كان يقول «ما بالك تحتفل كأنّك انتصرت؟ أنت لم تفعل شيئاً بعد. لا أخذت البلد في اتّجاه جديد، ولا حسمت أيّاً من القضايا الأساسية في السياسة والاقتصاد». بمعنى آخر، ارتكبنا خطأً شائعاً هو الاستهانة بقدرة منظومة القوّة على إعادة تكوين نفسها، حتّى إن تعرّضت لأزمةٍ أو ضربةٍ وهزّة. ومثلما كان من السّهل - في غياب بديلٍ يفرض نفسه - أن تحصل على مُباركَةٍ من غير مبارك (أو على نسخةٍ منها أكثر سلطوية وشمولية وتطرّفاً في سياساتها)، وأن يعتبر الكثير أنّها «الخيار الأفضل» من بين ما هو «متاح»؛ فإنّ المنظومة المالية - السياسية في لبنان التي صمدت عبر صروف الدّهر وعوادي السّنين، وتعايشت مع غزوات وحروبٍ أهليّة وتقسيم، (وكانت في كلّ مرّة تعود أكثر قوّة وجحماً والتصاقاً بالرعاة الخارجيين) لن تستسلم وتقع من تلقاء نفسها مهما كانت أزمتها عميقة.

ان تتصدّى للنموذج

المشكلة في الخطاب الذي يختصر المشكلة اللبنانية بـ «الفساد» لا تتلخّص في أنّه تبسيطيٌ فحسب، بل هو أيضاً يخفي الجذر الحقيقي للأزمة ويصادر أفقَ الحلول الممكنة. لغاياتٍ معيّنة، يمثّل خطاب «مكافحة الفساد» أداة سياسيّة فعّالة: اتّهام سياسي/ أخلاقوي (من، من النّاس الطيبين، يمكن أن يقف «مع الفساد» أو ضدّ اجتثاثه؟)، يعطي تفسيراً واضحاً لمشاكل النّاس وحرمانهم، لغةً يحدّدها المجتمع الدّولي ومنظّماته، ولكنّه أيضاً يسمح لك بأن تبدو جذرياً وأمس «ضدّ النّظام» من غير أن تتحدّاه في العمق. من الأسهل كثيراً أن تقول إنّ مشكلتنا

> **الكثير من الحجج التي تقدّم اليوم جزءٌ من المناورة التي ينفذها لوبي كبار المودعين لانقاذ منظومته على حسابنا**

> **المشكلة الكبرى ليست في الانهيار نفسه، بل في «الحلّ» الذي سيأتي بعده، لأنّ «الانهيار» يطال أساساً الواحد في المئة**

في لبنان هي الفساد والفاسدون، وأنّها تحلّ بأسبابهم وجلب طاقمٍ جديدٍ (نظيف) الى الحكم، من أن تقول إنّ «النّموذج» المالي الذي سيّر لبنان بعد الحرب الأهلية قد وصل الى نقطة الكارثة و«التدمير المتبادل» بينه وبين المجتمع، امّا نحن أو هو. الخيار الثاني يفرض عليك - أوّلاً - أن تعرّف على التّحرّر من هذه المنظومة، مع كلّ ما يرافق ذلك من كلفةٍ على الطبقات الحاكمة، و - ثانياً - أن تطرح بديلاً بالمعنى الحقيقي، والأ فانت تسعى الى استمرار النّموذج بوجوهٍ جديدة.

كيف نشرح المسألة؟ فلنأخذها على الشّكل التّالي: حتّى لو لم يكن هناك أيّ «فساد» في لبنان خلال العقود الماضية - لا مناقصة مشبوهة ولا عقود وهمية ولا توظيف محاسيب ولا استغلال نفوذ. من غير أيّ سرقةٍ أو هدر، طالما أنّ الاقتصاد يقوم على النموذج ذاته للدّين المتضخّم (الدّولة تستدين من المصارف بأضعاف المعدّل العالمي للفائدة، وهذه الفوائد تصبح بمثابة «الانتاج» في لبنان، توزّعها الدولة على المصارف، والمصارف تحوّلها الى ودائع، وكبار المودعين يحوّلونها الى عقاراتٍ واستهلاك)، فإنّنا كنّا سنصل، وإن بعد سنوات، الى النّقطة ذاتها التي نقف فيها اليوم. هذا النموذج «التمويلي» - اقتصاد المضاربة بالدّين - هشّ بطبيعته، سواء تمّ تطبيقه على مستوى عالمي أو على مستوى بلدٍ صغير، وهو مهدّدٌ باستمرار بتحويل أي أزمة أو كبوة فيه (ولو بسبب فيروس) الى «أزمة بنيوية» (systemic) تقوّض المنظومة بأكملها. فكيف حين تطبّقه على الطريقة اللبنانية؟

من جهةٍ ثانية، الكلام على «الفساد» بعموميّة ومن دون أرقام واتهاماتٍ واضحة لا يفيد بشيء، وتستوي فيه الاشاعة مع الحقيقة طالما أن هناك سريّة مصرفية والمسؤولين والمتهمين يحتمون خلف غلالةٍ من الجهل، لا يمكن أن نعرف ماذا يملكون وكم - وما معنى أن تستمرّ السرية المصرفية، أو أن لا يتم تعليقها مؤقتاً، في مثل هذه الظروف؟ لن تحصل محاسبة قبل أن تكشف الحسابات كلّها للعموم، ويُتاح لنا أن نبحث في أرقامها، ونعرف. فعلياً، كم راكم هذا المسؤول وذاك الموظّف وهذا الضّابط مع عائلاتهم، ومن ابن اتت هذه الأموال (وسنعرف أيضاً، بالطبع، عن قنوات التمويل الخارجي وحجمه والمستفيدين منه)، ومن هنا يبدأ نقاش الفساد، لا من مقولة «كلّهم حرامية». بالمختصر، هذا الخطاب سيتيح بنا الى معاقبة حفنة من الموظّفين، وكشف قضية هنا ومخالفة هناك، أو ملاحقة قروض اسكان أخذت بلا وجه حقّ؛ ولكنّ اهدار الثروة الوطنية، واسر البلد في دورة استدانةٍ ريوعيّة، أو تهريب المليارات الى الخارج في السنة الماضية، هذه كلّها تكون أمورٌ قد جرت «بالقانون» وليس فيها ما يستدعي المحاسبة.

يجب أن نتذكّر على الدّوام أنّ أقوى لوبي في لبنان اليوم هو «لوبي كبار المودعين»، وهو يتجاوز الاصطفافات السياسية ويخترقها. حين تستمع الى سياسي أو اعلامي أو خبير ينظّر في «حلول الأزمة»، يجب أن تتذكّر قبل كلّ شيء أنّ ثروة هذا الانسان - ومن حوله ومن خلفه - حبيسة المصارف اللبنانية، وهؤلاء النّاس يجمعهم حالياً هَمٌّ وهوَسٌ وحيد: استرداد أموالهم، او ما أمكن منها. هذا مفهوم «الخروج من الأزمة» بالنسبة اليهم، وهو يستلزم انقاذ «النموذج» بأي كلفة، وهذا أهم لديهم في هذه اللحظة من السياسة والوطنيات ومصلحتنا الجماعية وكل شيءٍ آخر.

قص الشعر وقص الاعناق

على عكس ما يتصوّر الكثيرون، لا يوجد أيّ امتيازٍ في أن يصدق توقّعك وان تكون محقّاً في استشراف «أمور مزعجة» مثل الانهيار المالي والافلاس المعمّم. فانت حين كنت تقول هذه الامور لم يستمع اليك أحد، وحين تبدأ الكارثة بالتحقّق، يصبح الجميع مصلحاً اقتصادياً يتحدّث عن «اعادة هيكلة الدين» و«قصة الشعر» - بمن فيهم فؤاد السنيورة. هنا تحديداً تقع المشكلة، فالكثير من الحجج التي تقدّم اليوم ليست نزيهة، بل هي جزءٌ من المناورة التي ينفّذها لوبي كبار المودعين لانقاذ منظومته على حسابنا. حين يتكلّم مصرفيٌ أو رأسمالي كبير على ضرورة «قصّة الشعر» على الودائع أو تجميد الفائدة على الدّين العام، فهذا لا يعني أنّه كان يعتاش من هذا النظام، بلا نقديّة واحتجاج طوال العقود الماضية، ثمّ استيقظت فيه فجأةً روح الاشتراكية والمسؤولية الجماعية وأصبح همّه توزيع الخسائر بعدل. هم يتكلّمون على هذه الاجراءات لأنّهم يعرفون أنّ أكثر الودائع قد ضاع بالفعل والأمر أصبح خلفنا، وأنّ التضحية بالقليل أصبحت معبراً اجبارياً للحفاظ على ما تبقّى. بمعنى آخر، هم يريدون أن يبيعوك «قصّة الشعر» ولكن مقابل ثمنٍ أكبر بكثير: تخفيضٌ على الودائع مقابل انقاذ المصارف وكبار المودعين، اعادة هيكلة الدّين العام مقابل أن نستمرّ بدفعه الى الأبد.

هم ايضاً يريدون «تدويل» هذه العملية، ومن هنا هوس النّخب اللبنانية مؤخّراً بصندوق النقد الدولي والترويج له في الاعلام كقدر محتوم، وهو ايضاً يفسّر مسارعة المصارف اللبنانية الى بيع سندات «يوروبوندز» الى أجانب، حتّى يكون هناك اشراف وضمانة دولية على اعادة ترميم المنظومة، ولا تكون هناك امكانية لـ«انقلاب مالي» عليها في الداخل. الصفقة التي يقدّمها هؤلاء اصبحت معالمها معروفة: تخفيض في انفاق الدّولة، رفع الدعم عن الكهرباء، تخصيص وبيع القطاعات العامّة، الخ... والهدف هنا هو خفض العجز في الميزانية العامّة - حتى نتمكّن من دفع الديون وتعويم المصارف وفق جدول جديد. هذا الحلّ يعني ببساطة أن «قصّ الشّعر مقابل قصّ الرّقاب»، أي أنّ كبار المودعين سيخسرون نسبة من أموالهم التي كنزوها، فيما فئات كاملة في البلد ستنزلق الى الفقر والحاجة: مداخيلها أكلها التضخّم، ارتفعت عليها فواتير الطاقة والخدمات، وازدادت الرسوم والضرائب. هذا سيكون شكل البلد بعد سنواتٍ قليلة على «اعادة الهيكلة»، أساليب صندوق النقد ومطالبه معروفة، والأمر هذه المرّة لا يحتاج الى تنبّؤ واستشراف. الميزان التجاري وموازنة الدّولة لن تعتدل لأنّ اقتصادنا أصبح «منتجاً» وخرج الى نموذجٍ جديد، بل لأننا أصبحنا فقراء واجورنا منخفضة الى درجة أننا لا نقدر على الاستهلاك.

إن كانت «ضرورة» صندوق النّقد وبرامجه تعود الى أنّه سيمدّنا بالقروض والسيولة، فالسؤال الحقيقي هو لماذا سنُعطى هذا المال؟ إن كان من أجل دفع الدّين فنحن لا نريده. أيّ اعتماداتٍ من صندوق النّقد وغيره ستكون قيمتها أقل بكثير من فوائد الدّين الذي يريدون منعنا من التحرّر منه. والمليارا دولار (او ثلاثة او أربعة مليارات) التي نأمل - في أحسن الأحوال - أن تصل الينا سنوياً لكي نغطي نفقاتنا والاستيراد يرسل الينا المغتربون أكثر منها، إن عرفنا استخدامها، وهم يرسلون البك المال بلا شروطٍ ولا قيود، فقط لأنّك انجبتهم. وإن كان البعض يروّج لـ«الخبرة التقنية» الفائقة التي تملكها هذه المؤسسات الدولية، والتي لا غنى لنا عنها، فإن عليهم اختيار حجّةٍ أفضل. لمن لا يعلم: الكثير من سياسات الحكومة اللبنانية قد جرت تحت اشراف هذه المؤسسات وخبرائها، البيروقراطية اللبنانية الفعّالة التي ترونها حولكم قد خضعت لبرامج تحديث وتدريب وهيكلة من تمويل البنك الدولي. وهذه المؤسسات ليست جمعيّات خيريّة، بل ادوات سياسية وايديولوجية قبل أيّ شيء، توصياتها وشروطها معروفة سلفاً (وهي تتناقض مع كلام الكثيرين عن الانتقال الى الاقتصاد المنتج) وتنمية الصناعة والزراعة وباقي الشعارات التي يتم سوقها مجّاناً هذه الأيام).

(هيثم الموسوي)

ولو انّك دخلت، مثلاً، الى مكتب مدير قسم الشرق الأوسط في صندوق النّقد اليوم، فإنّك لن تجد سوى وزير ماليتنا الأسبق - السيد جهاد أزعور - جالساً هناك، وليس «سوبر كمبيوتر» او «سوبر خبير» يملك حلولاً لم نحلم بها (وأنا لي تجربة شخصية مع هذه المنظمات، حين كنت طالباً في الخارج اتفقت مع مدير في البنك الدولي على ترجمة مجموعة وثائق وبيانات، ثمّ حاول أن يتملّص والّا يدفع أجري - والوثائق كانت عن الأردن، بالمناسبة، اذ كانوا يخططون يومها، في اوائل الالفينات، للاصلاحات وللنموذج الاقتصادي الباهر الذي نجده في البلد الآن).

المعادلة التي اقترحها ببدلاً بسيطةً للغاية، يمكن أن تسمّيها معادلة 80:20: فلنفترض اسوأ سيناريو، أنّ 80 في المئة من ودائع المصارف قد ضاعت الى غير رجعة، وأنّ عشرين في المئة منها سيعود (وهذا يعني فعليا احتياط المصارف الاجباري لدى مصرف لبنان، اضافة الى حساباتها في الخارج، اضافة الى اصولها وقروضها في السوق الداخلي). هذا يكفي لاسترجاع كلّ ودائع الطبقة الوسطى والحسابات حتى سقفٍ يصل الى مئات الاف الدولارات، وحسابات الضمان الاجتماعي والنقابات، ولن يخسر فعلياً سوى العشرة او العشرين في المئة في «الأعلى»، فيما الخسارة الحقيقية ستقع على فئة «الواحد في المئة» الذين يملكون أكثر الودائع. هذا ما يمكن فعله بالأموال الموجودة حقّاً واليوم. مقابل ذلك، يتمّ تصفير الدّين العام بالكامل: لن تكون علينا دفعات وفوائد، لا هذه السنة ولا في السنوات المقبلة، وسيتاح لنا وقتها أن ننصرف الى التحكّم بانفاق الدولة، وإعادة تأسيس القطاع المصرفي، وبناء احتياط المصرف المركزي، والتخطيط لسياقٍ اقتصادي جديد. هذه ليست خطّة أو حلّاً، ولكنّها المدخل الوحيد الممكن لحلّ يقيّنا الفقر والاستعباد، وهو المعنى الحقيقي لـ«التوزيع العادل للخسائر». يمكن أن يقال الكثير في الحالة اللبنانية ولكنّ السؤال المركزي يظلّ سؤال الدّين العام، العمود الأساس للنموذج اللبناني، ومنه تتفرّع بقية القضايا والحلول.

كي لا تُعاد الذورة

تتنازع المؤسسة السياسية في لبنان، والأذكياء من بين النّاسة، تناقضٌ أساسي هذه الأيام: بين رغبتهم - كـ«كبار مودعين» - بأن نصل الى صفقةٍ على طريقة صندوق النّقد، تجدّد نموذج الاستدانة وتعيد ودائعهم ومعها سلطتهم الاجتماعية، وبين فهمهم بأنّ الإجراءات اللازمة لهذا السيناريو ستجعلهم يفقدون أي شرعية في الشارع. هذا ما يجعل النّخب السياسية تتبادل الأدوار اليوم، بين «الثوري» و«المحافظ»، وبين من يهاجم المصارف ومن يعتبر أنّها ضحيّة (والكثير مما جرى في لبنان، في الأشهر الأخيرة، كان عبارة عن «لعبة القنعة»: بدل أن يصرخ القوّاتي في وجه العوني باعتباره قوّاتياً والثاني عونياً، مثلاً، يصرخ عليه باعتباره «ثورة» والآخر «سلطة»). الأجندات القديمة تظهر باسم جديد ولكنها تعبّر عن المصالح نفسها، وليس فيها شيءٌ «ثوري». والتحالفات و«الشلل» تعيد توضعها وتظلّ شبكات المصالح - والصداقات والعداوات - هي ذاتها. هذه اللعبة قد يندمج فيها الناشطون والنّخب، ولكنها تبعد الناس العاديين).

حتّى في حالة حزب الله، وهو من يفترض به أن يكون الأقلّ حرصاً على المصارف ونظامها، كانت لدي شبه - نظريّة في تفسير موقفه تفيد بأنّ قيادة الحزب قد استنتجت، منذ زمن، بأنّ الانهيار قادمٌ ولا رادّ له، وأنّ خطابهم السياسي في الفترة الماضية كان بمثابة «القاء حجّة» - أي أن يظلّوا «ايجابيين» و«متعاونين» حتّى لا يتمّ اتهامهم، حين يحصل الانهيار، بأنهم من تسبّب به. الآن ان الفترة الماضية أثبتت بأنهم مقتنعون حقّاً بامكانية ايجاد «حلّ» تتوافق عليه المؤسسة ويقبلنا الانهيار (وإن كنت لم أحصل على خريطة طريق مقنعة كيف نصل الى هنا).

الأساس هو أن نفهم أنّنا لسنا أمام أزمة «عادية»، وأن نفهم معنى سقوط النموذج الاقتصادي الذي كنّا نعتاش عليه، وأنّ لذلك كلفة لا يمكن التهرّب منها. لا يوجد حلّ «تقني» لمشاكل لبنان، ومن يتكلّم عن التحوّل الى «الاقتصاد الانتاجي» كأنّه أمرٌ يجري بكبسة زرّ لم يجرّب يوماً أن يؤسس مشروعاً في لبنان. الاقتصاد المنتج يحتاج الى أساسيّات نحن نفتقدها، وإن حرمنا من الاستيراد بسبب انهيار العملة ونضوب الدولار فإنّنا لن نتحوّل الى هولندا بل الى الصومال. تريد زراعةً وأغلب ارضك، بعد، ليس فيها ريّ ومشاريع بديهية مثل الليطاني (كان يفترض أن تكون اكتملت منذ الخمسينيات، ونسي الجميع امرها) لم تنفّذ بعد؟ تريد صناعة في بلدٍ ليست فيه كهرباء منتظمة وكلفة الطاقة فيه من الأعلى في العالم؟ تريد اقتصاد معرفة وانت لا تستثمر في التعليم، وتحضّر لأجيالٍ من الجهلة وخريجين بلا مهارات؟ من هنا يبدأ النقاش عن «الاقتصاد المنتج»، وهو لا يتوافق مع النموذج اللبناني القائم، ولا مع شروط صندوق النّقد، ولن يرغب به أكثر من اعتاد على الرّيع والسلطة في وطننا. على الهامش: حين تحضّر لمشروع مزرعة، تفهم - حقّاً - معنى المياه ولماذا تخوض الدّول حروباً عليها، والفارق بين أن تتوافر لأرضك مياهٌ جارية وامكانات وبين أن تقتصر خياراتك على زراعات منخفضة القيمة وانتاج قليل. في ظروف لبنان اليوم، يتنبّه العديد من الشباب الى أهميّة الانتاج و«العودة الى الأرض»، وبخوض الكثير منهم غمار مشاريع زراعية صغيرة. هم سيقعون قريباً على حجم العوائق والحوافز السلبية التي وضعها النظام الاقتصادي الحالي في طريقهم (مع أننا نبحث في «مشروع المزرعة» منذ سنوات، الا أننا لم ننجز شيئاً مادياً بعد، ولكننا تعلّمنا عن الاف الأسباب التي قد توصل الى فشل مشروعك في لبنان. وحين استمع الى أحد هؤلاء الشباب المتحمّس يصف لي فكرته هذه الأيام، تكون الثغرة في مشروعه واضحة وساطعة ولكنّه لا يراها بعد. استمع اليهم بصبر ثمّ أتمنّى لهم التوفيق).

حين أقول إنّ المشكلة الكبرى ليست في الانهيار نفسه، بل في «الحلّ» الذي سيأتي بعده، فذلك لأنّ «الانهيار» يطال أساساً الواحد في المئة، بينما «الحلّ» سيكون على حسابنا جميعاً (الناس العاديون سيعانون بسبب التضخم وركود الاقتصاد والبطالة، ولكن «الودائع التي طارت» لا تخضعهم وارجاعها ليس مشكلتهم). الموضوع هنا سياسي وليس مالياً.

صحيحٌ أن مجرى الأحداث في لبنان قد يقرحها في نهاية الأمر السياق الاقليمي والعالمي، كما جرى غالباً في الماضي، وليس العملية السياسية الداخلية، الّا أنّ للهزيمة أبواباً متعدّدة. قبل أن نسلّم أمرنا ومستقبل شعبنا للخبراء ونفترض أن الحلّ يدهم مفتاح هذه الأسئلة، فلنتذكّر كيف وصلنا في الأساس الى هنا، وكيف بدأت القصّة مع هذا النظام - المسخ الذي يفلس اليوم ويتبرّأ منه الجميع: في بداية التسعينيات، بعد أزمةٍ اقتصاديّة، استنتج الفريق اللبناني - السوري الحاكم أنّه قادرٌ على امساك البلد سياسياً وعسكرياً، ولكنّه لا يملك خطّةً لتسيير اقتصاده وجلب الاستثمارات من الخارج لإعادة الإعمار ومنع الانهيار. كانت الفكرة أن «يوكّل» الاقتصاد الى شخصيّة مختصّة، خبيرة ناجحة، تعرف كيف تبني نموذجاً حديثاً يصبح لمرحلة ما بعد الحرب، وكان اسم هذا الشخص رفيق الحريري.

مقالة

مؤشرات انهيار المؤسسات

هيام القصيفي

لا تنهار دولة بين يوم وآخر. ولا تتحجج دولة ما بذرائع واهية لتبرير الأخطاء التي تراكمها منذ سنوات طويلة، من دون أن تجد الجرأة لمواجهة سقطاتها المتتالية. ولا يمكن للبنان الرسمي التذرع بأن الفشل في معالجة الأزمة المصرفية، ومن ثم الفوضى في وضع استراتيجية عملية للحد من انتشار فيروس كورونا، سببها أحداث 17 تشرين الأول وما تلاها من انتفاضات شعبية في وجه السلطة الحالية والسابقة، أو في أدنى الأحوال التشبه بما يحصل في عدد من الدول الأوروبية، سواء اليونان وقبرص في ما خص التعثر المالي، وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا في منع انتشار الوباء العالمي. تبعاً لذلك، لا يحتاج لبنان الى أي مؤشر خارجي لإعلانه دولة فاشلة، ولا الى تبريرات اقتصادية ومالية من نوع عدم تسديد مستحقات اليوروبوند، كي يعلن بنفسه انهيار مؤسساته الرسمية، وتهديد المؤسسات الخاصة، نتيجة السياسات الخاطئة والانهيار الداخلي لسلّم القيم والأخلاق وسياسات الجشع المتواصلة، التي يتشارك فيها كثير من اللبنانيين مع زعمائهم. فلكل دولة فاشلة، بحسب التفنيد العملي، أسبابها المختلفة عن الأخرى، لكنها تجتمع على مؤشر أكيد هو مدى اليؤس الذي يعانيه شعبها. هو التوصيف الذي بات ملتصقاً بلبنان، الذي جمع أيضاً في الأسابيع الأخيرة كثيراً من هذه الأسباب تحت عنوان واحد.

لعل أهمية ما حصل منذ اندلاع التظاهرات، أنه كشف عورات السلطات المتعاقبة والنظام الحالي، فظهرت حقيقة الأزمة المالية من دون مواربة وكذلك السرقات المصرفية وتهريب الأموال الى الخارج، والسطو على ودائع اللبنانيين، وتواطؤ السياسيين وحاليا القضاء والأمن، مع المصرفيين. لم يكن ممكناً أن تظهر هذه المعلومات إلا نتيجة الضغط الشعبي، وإن شابته أخطاء واستغلال سياسي له. رغم ذلك، تمكن اللبنانيون من معرفة حجم المأساة والتأثيرات السلبية لممارسات مصرف لبنان والسلطة السياسية، على القطاعات الداخلية الحيوية من صناعية وتجارية وزراعية واستشفائية. بمجرد أن شكلت حكومة الرئيس حسان دياب، سعت الطبقة السياسية إياها الى طيّ صفحة المرحلة الفائتة، وسحب فتيل المساءلة حول أدائها الماضي (والمستقبلي). لكن استحقاق اليوروبوند وخطط الحكومة الإصلاحية الموعودة وانفضاح الممارسات المصرفية أعاد تظهير المخاوف من انهيار حتمي، ولا سيما أنه يترافق مع ضغط خارجي، مرشح للمزيد في ضوء عودة الأميركيين الى الكلام عن عقوبات إضافية، والتلويح مجدداً بقرارات المحكمة الدولية، في مقابل غيبوبة كاملة للمسؤولين عن مواكبة الاستحقاقات الآتية، سواء ما يتعلق منها باليوروبوند أو بمصالح اللبنانيين المباشرة، كملف المحروقات والأزمة التي تلوح في الأفق، واستيراد الأدوية وودائع اللبنانيين المعلقة.

في لحظة الانهيار جاء انتشار فيروس كورونا، ليضيف الى المشهد المؤسساتي سلبيات أكثر حدّة. لأنه منذ اللحظة الأولى كشف العورات المؤسساتية الصحية الرسمية والخاصة، وأظهر بوضوح أكثر حجم الخفة التي تعاملت بها السلطات الرسمية مع حدث صحي عالمي بهذه الخطورة، فيما يخرج وزيران معنيان ليتحدثا عن السياحة الاستشفائية في لبنان، الذي غرق لسنوات في الترويج أيضاً لسياحة الطبابة التجميلية التي لا تنفع كثيراً في زمن الأوبئة. بعد أشهر من تسلط حاكم مصرف لبنان على الأموال المطلوبة لاستيراد المواد الطبية والمعدات الضرورية لمعالجة كثير من الأمراض والعمليات الجراحية ومناشدات المستشفيات والأطباء، لم تبادر أي جهة رسمية الى الضغط على رياض سلامة لتحرير الأموال المحتجزة، ليكتشف المسؤولون فجأة النقص الحاد في صناعة أجهزة التنفس والألبسة الواقية للجهاز الطبي والتمريضي، فيما القطاع التمريضي يشكو منذ سنوات الإهمال والإجحاف في حقه، من دون أي رفة جفن من المسؤولين. كما المستشفيات الحكومية المهملة والضائعة حقوق موظفيها، منذ أسابيع، والإنذارات تتوالى عن حجم خطر الوباء، لكن أركان الدولة غرقوا في متاهات اللعبة السياسية بين مؤيد ورافض لمنع الطيران من إيران وإيطاليا، على قاعدة 6 و6 مكرر. ولم يلتفت أي منهم الى كيفية استعداد الدول لمواجهة الوباء، من بإعلانها بدء تصنيع آلاف أجهزة التنفس أو توزيع الأقنعة مجاناً وخفض أسعار المطهرات، وإجراء الفحوصات الخاصة مجاناً، فيما تلاحق وزارة الاقتصاد صاحب مولد رفع سعر التعرفة الشهرية، وليس رافعي أسعار الأقنعة والأدوية المعقّمة تصاعدياً من دون أي رقابة.

حين تقول المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل إن الوباء سيطال ستين الى سبعين في المئة من الناس وتستجلب غضب الأوروبيين عليها، تكون ألمانيا قد رفعت جهوزيتها الى الحد الأقصى طبياً وأمنياً واجتماعياً. حتى إيطاليا التي تعثرت في طريقة احتوائها للمشكلة، وضعت أجهزتها الأمنية في حالة تأهب كامل لباسهم الخاص، واستنفرت كل طواقمها ومستشفياتها وقسمتها قطاعات صحية جغرافياً. كما حال كل الدول المصابة. لكن السلطة في لبنان، لم تأخذ منا يحصل في أوروبا مثلاً الا عنوان انتشار الوباء، فلم يستنفر القطاع الصحي الخاص، وهو الأكثر حضوراً في لبنان وفاعلية، والإفادة من أنظمة الرعاية والاستشفاء، إلا في الأيام الأخيرة، فضلاً عن الأخطاء التي حصلت فيه. لم تجر مساءلة أي جهات استشفائية خاصة دينية أو مدنية عن حجم فعاليتها وجهوزيتها، لاستيعاب انتشار الفيروس في كل المحافظات، وخصوصاً مع ظهور تقاعس وأخطاء لدى هذا القطاع. لم تتم مواجهة احتمالات تفشي الأمراض في الأجهزة الأمنية كافة، وخصوصاً تلك المعرّضة أكثر من غيرها، في ضوء يوميات لوجستية كتبادل القطع الحربية الفردية والأسرّة، وغيرها مما يعرفه العناصر الأمنية أكثر من غيرهم وتعرضهم لاحتمالات مرضية عالية. لم توضع خريطة طريق واضحة، غير تشكيل اللجان، لمعرفة كيفية استيراد المعدات والأدوية من أوروبا، حين تتوقف حركة الطيران إليها. وكيف يواجه لبنان حالة إغلاق شاملة مماثلة لإيطاليا أو مناطق صينية، وهو الغارق في أزمة مالية لا يستطيع معها الموظفون والعاطلون عن العمل تأمين أدنى مستلزمات حياتهم اليومية، فيما يتّكل على أجهزة المؤسسات التطوعية فقط التي ستجد نفسها عاجزة عاجلاً أو آجلاً عن تلبية كل الاحتمالات المتوقعة. لأن أزمة انتشار المرض لا تتعلق بقطاع صحي فحسب، بل بمنظومة متكاملة من القطاعات العسكرية والصناعية والتجارية والمصرفية، تحتاج الى استراتيجية شاملة لا تزال الدولة غائبة عنها.

صحيح أن خفة جزء من اللبنانيين والتعنت الديني لدى جزء آخر، والتعامل مع انتشار الفيروس بأبعاده السياسية، ساهم في التعمية على حجم الانهيار المؤسساتي. لكن مع مرور الوقت، يتكشف المزيد من الثّغر التي ستتضاعف مع الاحتمالات المترقبة لانتشار المرض كما يستدل عالمياً أسابيع عدة، وتضاف الى أشهر من التعثر المالي والاقتصادي، في مقابل غياب سلطة متماسكة لمعالجتها. أمس، كان مشهد بيروت يشبه أيام الحرب، مع فارق أساسي: خلال الحرب كانت الدولة لا تزال قائمة بمؤسساتها وماليّتها، الى جانب مؤسسات الدويلات الرديفة. أما اليوم، فشبه دولة على طريق الإفلاس والانهيار.

على الغلاف

إقبالٌ كثيف على التحاليل المخبرية وقلقٌ على الطواقم الصحية

إصابات «كورونا» 78: نسب الانتشار غير مُقلقة حتى الآن؟

5 إصابات جديدة بفيروس «كورونا» المُستجدّ سُجّلت، أمس. ليرتفع العدد الإجمالي للمُصابين إلى 78 حالة. وبالرغم من أنّ هذه الأعداد قد ترتفع، ظهر اليوم، مع زيادة الإصابات التي سجّلتها المُستشفيات الجامعية الأخرى، إلّا أنّ نسب انتشار الوباء «لا تزال غير مُقلقة كثيراً حتى الآن»، على حدّ تعبير مصادر وزارة الصحة التي تستند في خلاصتها هذه إلى العدد الكبير من الفحوصات التي يتم إجراؤها، والتي تصل، يومياً، إلى نحو 300 فحص. في هذا الوقت، لا يزال القلق يُحيط بالطواقم الصحية مع تسجيل المزيد من الإصابات في صفوفها، وهو ما يطرح تساؤلات جدية تتعلّق بالرقابة المطلوبة على آلية عمل المُستشفيات الجامعية التي تتعامل مع المُصابين بالفيروس أو المُشتبه في إصابتهم

تهافت البعض غير المُبرر لإجراء الفحص له تداعيات سلبية على المُستلزمات اللازمة للتحليل التي يجب أن يتم «ترشيد» استهلاكها (مروان بوحيدر)

هديل فرفور

تأخّر مُستشفى رفيق الحريري الجامعي الحكومي في إعلان نتائج تقريره اليومي عن فيروس «كورونا» المُستجدّ، أمس، ثلاث ساعات عن موعده المعتاد. أمّا السبب، فهو «الضغط الكبير على مختبرات المُستشفى»، بحسب المعنيين فيه.

يقول التقرير إن العدد الإجمالي للفحوصات المخبرية التي أجريت في المُستشفى خلال الـ24 ساعة الماضية فقط بلغ 202. 196 منها كانت سلبية، فيما سُجّلت ست إصابات إيجابية «خمس منها كان قد سبق لها أن أجرت فحوصات في مختبرات أخرى وتم إدراجها في بيان وزارة الصحة»، علماً أن الأخيرة كانت قد أشارت صباح أمس، إلى أن مجموع الحالات المُثبتة مخبرياً 77 حالة.

ما يعني أن حصيلة اليوم المنصرم بلغت 78 حالة، أي بزيادة 5 إصابات جديدة، من ضمنها إصابة إحدى العاملات في إدارة وزارة الصحة المركزية التي «كانت قد التقطت العدوى من أحد أقربائها المُشخّصين»، وفق بيان الوزارة «التي تقوم باتباع الإجراءات اللازمة لعزلها وتحديد المخالطين خارج وداخل الوزارة وجمع العينات ووضع المُخالطين في الحجر الصحي المنزلي».

هذه الأرقام سترتفع حُكماً، صباح اليوم، مع زيادة نتائج التحاليل المخبرية التي تقوم بها المستشفيات الجامعية الأخرى التي أسندت إليها مهمة إجراء فحوصات «الكورونا»، لـ«مؤازرة» المُستشفى الحكومي، والذي يشهد بدوره «إقبالاً كثيفاً» من قبل المُقيمين «المرعوبين» من إصابتهم بالفيروس، على حدّ تعبير مصادر أحد تلك المُستشفيات، مُشيرة إلى أن «هناك الكثير من الأشخاص الذين لا تستدعي حالتهم إجراء الفحص يقومون بإجراء الاختبار بشكل دوري».

وصحيح أن لهذا الواقع (تهافت البعض غير المُبرر لإجراء الفحص) تداعيات سلبية ترتبط بشكل أساسي بـ«التبذير» بالمواد والمُستلزمات اللازمة للتحليل في وقت توصي به الجهات المعنية بـ«ترشيد» الاستهلاك، إلّا أن العدد الكبير من الفحوصات من شأنه «أن يعطينا فكرة واضحة عن حجم انتشار الفيروس»، على حد تعبير مصادر وزارة الصحة.

الأخيرة قالت في اتصال مع «الأخبار»، إنّ بين 250 إلى 300 فحص تشخيص «كورونا» يتم إجراؤها يومياً، لم تتجاوز معدّلاتنا حتى الآن الـ10 إصابة يومياً، «ومقارنة مع ما يجري في بقية البلدان، ونسبةً إلى أعداد الفحوصات، فإنّنا نستطيع القول إنّ نسبة انتشار الفيروس لا تزال حتى اللحظة غير مُقلقة وخصوصاً أن الحالات التي لا تزال قيد الدرس (أي التي لم تعرف مصدر إصابتها بالفيروس) محدودة جداً».

إلى ذلك، فإنّ الإقبال الكثير على المُستشفيات الجامعية التي تقوم حالياً بالفحوصات المخبرية وتستقبل بدورها مُصابين، يُعيد التذكير بالية الرقابة على عمل هذه المُستشفيات وبمستوى الأهلية التي يجب أن تتمتع بها على صعيد الحماية والوقاية اللازمة في ظلّ ارتفاع أعداد المُصابين من طواقمها الصحية.

فإلى العشرين طبيباً وعاملاً في القطاع الصحي في أحد مستشفيات بيروت الذين لا يزالون يخضعون للحجر بعد الاشتباه في إصابتهم بالفيروس، تُفيد معلومات «الأخبار» بإصابة أحد أطباء التخدير في أحد المُستشفيات الخاصة في منطقة جبل لبنان بالفيروس. اللافت أن مصادر مُطّلعة تقول إنّ المُستشفى «لم يقم حتى الآن بعزل المخالطين وبتزويدهم بمعدات الحماية اللازمة المرتبطة بالعزل المطلوب»، مُشيرةً إلى أن المُستشفى «يعاني أصلاً من النقص في أدوات التعقيم ومن فُستلزمات

> **أُصيب أحد أطباء التخدير في مستشفى خاص في جبل لبنان بالفيروس**

الوقاية المطلوبة للعاملين».

اللافت هو ما تنقل المصادر عن لسان رئيس مجلس إدارته قوله إنه «من الطبيعي أن يصاب العاملون بالمُستشفى بالفيروس، لكن أن يُصابوا حالياً في وقت لم تتكاثر فيه الإصابات أفضل من الأيام المُقبلة عندما تكون القدرة الاستيعابية للمُستشفيات قد وصلت إلى ذروتها!».

وكانت مُنظّمة الصحة العالمية قد أشارت في هذا الصدد في الثالث من الشهر الجاري إلى أنه «لا يمكننا وقف تفشّي عدوى كوفيد-19 دون حماية العاملين الصحيين أولاً»، مُشيرةً إلى ضرورة تزويد الطواقم الصحية بالمُستلزمات الوقائية المطلوبة.

وكانت لجنة متابعة التدابير والإجراءات الوقائية لـ «كورونا» قد أصدرت، أول من أمس، توصياتها على هذا الصعيد تتعلّق بإلزام كل المستشفيات الخاصة من فئة (أ) (المُستشفيات الجامعية)، بالتجهيز المطلوب وفق المعايير المعتمدة لاستقبال الحالات تماشياً مع خطة وزارة الصحة، «وذلك بمهلة أقصاها أسبوع من تاريخ صدور هذا القرار». كذلك، تُكلّف وزارة الصحة «تشكيل فريق بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية للكشف على جهوزية المستشفيات المذكورة أعلاه ورفع تقرير إلى لجنة متابعة التدابير والإجراءات الوقائية لكورونا، لتحدد اللجنة بناءً عليه المستشفيات التي ستُعتمد على الأراضي اللبنانية ويتم تعميمها على المواطنين»، فضلاً عن تكليف وزارة الصحة العامة «رفع تقرير إلى اللجنة الوطنية حول جهوزية مستشفيات القطاع العام التي ستُعتمد لاستقبال حالات كورونا في كل المحافظات وبحسب المعايير المعتمدة»، و«تحديد المراكز التي ستُعتمد لحجر الحالات التي لا تحتاج إلى عناية مركزة في كل المحافظات خلال مهلة أسبوع من تاريخ صدور هذا القرار ورفع لائحة مفصلة بها الى اللجنة الوطنية».

على صعيد آخر، أعلنت المُديرية العامة لقوى الأمن الداخلي - شعبة العلاقات العامة بدورها، أن دوريات قسم الشرطة السياحية في وحدة الشرطة القضائية باشرت «ضمن نطاقها» تنفيذ مقررات منع التجمعات في الأماكن العامة والخاصة فضلاً عن تدابير الإقفال التام لجميع المطاعم والسناك بار والحلويات والمقاهي والنوادي الليلية والمراقص والحانات، مُشيرة إلى أنه تم تنظيم عدة محاضر ضبط إدارية بحق المُخالفين.

مركز «الكرنتينا» يتأهّب لمواجهة «كورونا»

مع تفاقم أزمة فيروس «كورونا»، تشخص الأنظار إلى مركز توزيع أدوية السرطان والأمراض المُستعصية في الكرنتينا الذي ترتاده فئة من المرضى الذين هم الأكثر هشاشة وعرضة للتأثر بالوباء.

ونظراً إلى عدم إمكانية إقفاله التام، اتخذت جملة من التدابير الوقائية بدءاً من مراقبة حرارة روّاد المكان، مروراً بالتعقيم اليومي للصالة وبإزالة المقاعد المتراصّة والحرص على إبقاء مسافة بين المرضى فضلاً عن نشر إرشادات تتعلق بإحضار قلم خاص بكل مريض.

وفق القيمين على المكان، فإنّ الاستهتار في المركز، «على الجهود أن تكون مُضاعفة هنا».

نقابة المحامين في بيروت

تعديل في مواعيد دعوة الهيئة العامة للفروع لترشيح ممثليها لعضوية مجلس النقابة

عملاً بالمواد ٢٩ و٣٠ و٢٧ من قانون تنظيم مهنة الهندسة والمواد ٢٨ و٢٩ و٣٠ من النظام الداخلي دعت نقابة المهندسين كل من الهيئات العامة للفروعين التاليين:

فرع المهندسين المدنيين الاستشاريين

فرع المهندسين الزراعيين وذوي الاختصاصات المختلفة

لعقد جلسة في دار النقابة بيت المهندس يوم الاحد في ٨ اذار ٢٠٢٠ لترشيح خمسة ممثلين من كل فرع لعضوية مجلس النقابة.

وقد وافق مجلس النقابة على الترشيحات وفقا لتنظام.

نظرا للظروف الصحية التي تمر بها البلاد ولا سيما خطر انتشار فيروس الكورونا المستجد قرر مجلس النقابة بالاجماع تأجيل هذه الانتخابات الى موعد لاحق.

حدد الموعد الجديد لاجراء الانتخاب نهار الخميس في ٩ نيسان ٢٠٢٠.

تجرى عملية الانتخاب وتفتح صناديق الاقتراع ابتداء من الساعة التاسعة صباحا ولغاية الساعة الخامسة بعد الظهر. حيث تقفل صناديق الاقتراع ويباشر بعملية الفرز.

يكون لاعضاء الهيئة العامة لكل فرع فائونيا مهما بلغ عدد الحاضرين وتجري الانتخابات على دورة واحدة وبالاكثرية النسبية ويشارك فيها المهندسون الذين سددوا كافة الرسوم السنوية عن السنة المنصرمة قبل اول اذار ٢٠٢٠.

هذا وسيقوم مجلس النقابة بمراقبة تطورات الاوضاع الصحية في البلاد لاتخاذ القرارات المناسبة بشان الانتخابات.

تعديل في مواعيد دعوة الهيئة العامة

عملاً بالمواد ١٨ الى ٢١ و٢٩ الى ٢٤ من قانون تنظيم مهنة الهندسة والمواد ٢٨ الى ٤٠ من النظام الداخلي دعت نقابة المهندسين الهيئة العامة الى الاجتماع في دورة انتخابية في دار النقابة بيت المهندس نهار السبت في ٢٨ اذار وانه لم تتوفر الاكثرية المطلقة بعقد الاجتماع الثاني نهار السبت في ٤ نيسان ٢٠٢٠ ويعتبر قانونيا مهما كان عدد الاعضاء الحاضرين.

وقد وافق مجلس النقابة على الترشيحات وفقا للنظام نهار الخميس في ١٢ اذار ٢٠٢٠.

نظرا للظروف الصحية التي تمر بها البلاد ولا سيما خطر انتشار فيروس الكورونا المستجد قرر مجلس النقابة بالاجماع تأجيل هذه الانتخابات ودعوة الهيئة العامة الى الاجتماع في دورة انتخابية في دار النقابة بيت المهندس نهار السبت في ٤ نيسان ٢٠٢٠ واذا لم تتوفر الاكثرية المطلقة بعقد الاجتماع الثاني نهار السبت في ١١ نيسان ٢٠٢٠ ويعتبر قانونيا مهما كان عدد الاعضاء الحاضرين.

جدول الأعمال:

١. انتخاب نقيب المهندسين.

٢. انتخاب ثلاثة ممثلين عن الهيئة العامة لعضوية مجلس النقابة.

٣. انتخاب عضو لمجلس النقابة من بين الرشحين الذين قدمهم فرع المهندسين المدنيين الاستشاريين وعضو لمجلس النقابة من بين الرشحين الذين قدمهم فرع المهندسين الزراعيين وذوي الاختصاصات المختلفة.

٤. انتخاب عضو واحد للجنة إدارة الصندوق التقاعدي من الرشحين الذين سبق لهم أن كانوا أعضاء في مجلس النقابة مدة ثلاث سنوات على الاقل.

٥. انتخاب ثلاثة أعضاء للجنة المراقبة للصندوق التقاعدي.

تجرى الانتخابات على دورة واحدة وبالاكثرية النسبية ويشارك فيها المهندسون اللبنانيون الذين سددوا كافة الرسوم السنوية عن السنة المالية المنصرمة قبل أول آذار ٢٠٢٠.

تفتح صناديق الاقتراع ابتداء من الساعة التاسعة صباحاً ولغاية الساعة السادسة بعد الظهر حيث تقفل صناديق الاقتراع ويباشر بعملية الفرز.

هذا وسيقوم مجلس النقابة بمراقبة تطورات الأوضاع الصحية في البلاد لاتخاذ القرارات المناسبة بشأن الانتخابات.

النقيب حاد ثابت

التعليم في زمن «كورونا»

فضل الموسوي *

في ما يأتي، لن نسأل عن ملايين الدولارات من الهبات والقروض والمشاريع، ولن نسائل أحداً من المعنيين في القطاعين الخاص والعام، حتى لا نوغل أكثر في تعرية نظامنا التربوي الذي كشف استحقاق «كورونا» مدى هزاله. اليوم، بكبسة enter، وبأقل من يوم تدريب، يريد الجميع (من دون تمييز بين قطاع عام أو خاص)، الانخراط في عملية التحوّل الرقمي، من دون أي تحضير، وغالباً تحت ضغوط مادية بالنسبة للمدارس الخاصة، وضغط المسؤوليّة المعنويّة بالنسبة إلى المركز التربوي والمعنيين في الوزارة. وسنركز على الحلول الممكنة والسريعة والقابلة للتنفيذ بحسب ظروف كل مدرسة أو مؤسسة، خصوصاً تلك المتروكة لمصيرها وهمّة معلّميها من دون أي توجيه فعلي. علماً بأننا لا نناقش هنا أهميّة التعليم الإلكتروني مقارنة بالتعليم العادي، فهذه ليست الوضعيّة التي تنطبق على واقعنا حالياً. بل نناقش إمكانيّة تقديم حلول رقميّة يمكن أن تعوّض عن الغياب التام للطلاب عن المدرسة. لذلك كل ما يطرحه البعض حول معوّقات هذا النوع من الخيارات وجدواه صحيح بالمبدأ، لكنه يبقى في الظروف الراهنة أفضل الممكن للمدارس والأهالي والطلاب.

لدى الحديث عن التعليم الإلكتروني، نتحدث عملياً عن موضوعين هما: انتاج المحتوى الرقمي، والاتصال بالطلاب لتزويدهم بالمحتوى الرقمي التعليمي والتفاعل معهم. يتألف المحتوى الرقمي عادة من أربعة عناصر: النصوص، الصور (visuals)، الأصوات، والفيديو، ولكل منها توظيف تعليمي مختلف، رغم استحواذ الفيديو التعليمي على باقي العناصر لا سيّما في مجال التعليم عن بعد. وهناك العديد من أنواع الفيديو التي يمكن الاستفادة منها في التعليم، ويمكن أن ينتجها المعلمون وتؤدّي الغرض المطلوب، فضلًا عن تلك المحترفة التي تنتجها شركات تصميم التعليم. وتختلف خصائص الفيديو في التعليم الإلكتروني e-learning عن الفيديو في التعليم المدمج blended learning، إذ يمكن للفيديو في التعليم الإلكتروني أن يتخطى الـ 5 دقائق إلى 20 دقيقة بحسب الحلقة التعليميّة، وهو ما كان يعتبر من المحرّمات في التعليم المدمج. فضلًا عن اشتراط أن يشتمل الفيديو على شرح هدف كامل على الأقل إذا كان مخصصاً لشرح مفهوم، أو للتطبيق على أهداف الدرس. وقبل أن ترتعد فرائص المعلّمين من فكرة انتاج فيديو تعليمي، نطمئنهم إلى وجود أنواع عدة من الفيديو التي يمكنهم اختيار الأسهل منها. وفي هذا الإطار، يمكن اعتبار الفيديو الذي يسجل عرض شرائح البوربوينت (screen cast) الأسهل بين كل الأنواع الأخرى، حيث يمكن للمعلّم الاستفادة من العروض المحضّرة من قبله سابقًا وإعدادها وتسجيلها مع تعليقه الصوتي لتصبح فيديو تعليمياً، من دون حاجة إلى أي مونتاج. كما يمكنه الاستفادة من كثير من المواقع الأجنبيّة والعربية التي تبث - مجاناً - محتوى تعليمياً مشابهاً للمنهج اللبناني لا سيّما في المواد العلمية، ومن أهمها موقع khan academy العالمي الذي ترجم أخيراً إلى العربية، وموقعا «نفهم» و«مدرسة» العربيان وغيرهما. ويمكن للمعلّم انتاج الفيديو بطرق أخرى سهلة نسبيًا، مثل تصوير ورقة بيضاء A4 على هاتفه المحمول، وتدوين الشرح على الورقة مرفقًا بتعليقه الصوتي، خصوصاً في مواد الرياضيّات والفيزياء. وهي طريقة لا تحتاج إلى تجهيزات معقّدة وتفي بالغرض، لا سيما عند حل التطبيقات والفروض. كما يمكن الذهاب إلى حلول أكثر احترافًا مثل تصوير الأستاذ وشاشة العرض في آن، من خلال برامج مخصّصة لانتاج الفيديو التعليمي (screen o matic, ink screen، Camtasia, وغيرها). ولا يمنع أحيانًا في مواد اللغات خصوصاً، وفي الحلقات الدنيا، الاستفادة من تسجيل النصوص للتركيز على الوعي الصوتي واللفظ الصحيح والأداء، فضلًا عن بعض المسابقات التي لا تحتاج لأكثر من صفحة وورد word لبعض المفردات والأسئلة من مستوى فهم وتطبيق بحسب تصنيف بلوم. ونلاحظ أن هذه الحلول تركّز على انتاج المعلم للمحتوى التعليمي، وعندما نقول انّها حلول سهلة نسبيًا فنحن لا نسقط من اعتباراتنا الفروق الفردية بين المعلّمين ومهاراتهم في استعمال الكمبيوتر، والتدريب المسبق الذي حصلوا عليه، وندرك تماماً وجود معلّمين في الحد الأدنى من الطلاقة الرقميّة. لكن من إيجابيّات التعليم الإلكتروني عن بعد أنّه لا يتوجّب على كل معلّم انتاج كل الدروس المرتبطة بالمنهج بمفرده، بل يمكن توزيع عملية الانتاج على جميع المعلّمين والتشارك في ما بينهم، أو تنظيم هذه العمليّة من الإدارة المدرسيّة. إذ أن أي فيديو ملائم لهدف تعليمي محدّد يمكن استعماله من قبل باقي المعلّمين. وبالتالي يمكن للمعلّمين الذين يعانون من صعوبة استخدام التكنولوجيا الاستفادة من منتجات زملائهم في هذا المجال (لنتخيل لو يقوم المركز التربوي بهذه المبادرة، كم يمكن أن يريح المعلّمين وينقذ المشهد التربوي).

هذا على مستوى المحتوى، لكن ماذا عن الاتصال بالمتعلّمين، وما هي المنصّات المتاحة والمفيدة عملياً التي يمكن الاستفادة منها؟ قبل الخوض في أنواع المنصّات، يجب تحديد طريقة الاتصال بالمتعلّمين: هل هي متزامنة أم غير متزامنة؟ لأنّ لكل طريقة منصاتها المختلفة ومحتواها الرقمي الخاص، وإيجابيّاتها وسلبيّاتها. بالنسبة للاتصال المتزامن الذي يشترط أن يقوم المعلّم بالبث المباشر لتلامذته، والتفاعل معهم مباشرة، والإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم، يكون المحتوى في هذه الحالة مزيجاً من صورة المعلّم الذي يقوم بالشرح مع عرض شرائح محضّرة قبل البث من خلال البوربوينت ppt أو أي برنامج عرض آخر. يضمن هذا النمط من الاتصال التفاعل بين المعلّم والطلاب، لكنه يحتاج إلى تحضير للمادة المراد عرضها، ويحتاج إلى بعض المهارات التقنيّة في تشغيل البث المباشر. ويمكن الاستفادة في هذا المجال من تطبيقات تتيح الاستعمال المجاني مع بعض القيود على عدد المستخدمين، أو عدد مرّات البث، مثل zoom, skype, hangout وغيرها. لكننا ننصح، في هذا المجال، بعدم استخدام هذه التطبيقات رغم تخصّصها، واللجوء إلى منصات التواصل الاجتماعي، والاستفادة من خاصيّة المجموعات والبث المباشر في «فايسبوك» لانشاء «صفوف رقميّة متزامنة» إذ أنّ معظم الطلاب معتادون على هذه المنصّات التي تتماهى مع نمط حياتهم.

أما بالنسبة إلى الاتصال غير المتزامن، فيمكن تصنيف المنصات إلى أنواع عدّة كما يأتي:

- منصات تعليميّة متخصّصة في تقديم خدمات الصفوف الرقميّة مثل google classroom, Edmodo, wiki, padlet, easyclass، وهي متاحة لأي معلّم. إذ يكفي أن يفتح حساباً له على هذه المنصّة وينشئ صفاً تعليمياً، ومن ثم يشرك تلامذته فيه (باستثناء google classroom يحتاج أن تكون المدرسة مشتركة بخدمة gsuite المجانيّة، وهنا نسأل لماذا لا تستفيد الوزارة من هذه الخدمة المهمّة جدًا؟ هل لأنها مجانيّة؟).

- منصّات مفتوحة المصدر لإدارة التعلّم عن بعد LMS مثل منصّة Moodle الشهيرة التي تتضمن تطبيقًا هاتفيًا وموقعًا إلكترونيًا. ولا مجال للمقارنة بين هذه المنصّة والخيارات السابقة، لجهة أنّها تقدّم خدمة إدارة النظام التعليمي ككل، مع أنشطة عدة مثل الاختبارات، والورش، والمدوّنات، وغيرها، وهي خيار يصعب اعتماده من معلمين أو من مدارس أو مؤسسات، كونه يحتاج إلى بعض الخبرات التقنيّة، بينما منصّات الجيل الأوّل تعد غير مدرسيّة، لأنها لا تسمح لإدارة المدرسة بإدارة العملية، بل هي مصمّمة على قياس معلّم. ويعتقد البعض أن خيار Moodle غير مناسب بسبب تخلّف التصميم الخارجي والحاجة إلى الدعم التقني من متخصصين في المعلوماتية. لكن، مرّة أخرى، نسأل المخططين والمسؤولين لماذا لا يبادرون الى مساعدة المدارس بمثل هذه الحلول المجانية، لا سيّما إذا علمنا أن أدنى اشتراك في منصّة تعليمية محترفة تتضمن نظام إدارة تعلّم lms لا تقل عن 2,5 دولار للتلميذ الواحد في أحسن الأحوال، وهي ترتب بالتالي كلفة كبيرة على المدارس والأهالي.

- الخيار الأكثر استعمالاً حاليًا من المعلّمين هو المنصات غير التعليميّة بالأساس، مثل منصات التواصل الاجتماعي وبالأخص تطبيقي واتساب whatsapp وتلغرام telegram. إذ يسمح هذان التطبيقان ببث أي نوع من أنواع المحتوى التي ذكرناها ضمن مجموعات يتم إنشاؤها للتعليم والتفاعل مع الطلاب. ويمكن الاستفادة في هذا الإطار من سهولة الاستعمال بالنسبة إلى المعلمين والطلاب (عدم الحاجة للتدريب). كما يمكن اعتماد خدمات أخرى لاجراء بعض التقويمات من خلال مجموعة الواتساب مثل خدمة غوغل فورم google form التي تسمح بإجراء تقويم تكويني، والتأكد من متابعة المتعلّمين للتعلّم بالشكل الصحيح، وإعطائهم تغذية راجعة فوريّة. نحاول هنا أن نطرح على المعلّمين والمديرين والكادر التربوي عمومًا بعض الحلول الرقميّة المساعدة، إن على مستوى انتاج المحتوى أو على مستوى الاتصال، مع اعترافنا بأنّ هذه الحلول على أهميّتها لا تحل محل الحلول الأصيلة التي كان يفترض بالدولة تأمينها على مستوى وطني خلال الفترات السابقة، لنتجنب مشهد العجز الذي طغى على أداء القطاع التربوي عموماً. بالنسبة إلى الأهالي، وبعيدًا عما يمكن للمدرسة أن تقوم به، يمكنهم الاستفادة من فرصة التعطيل القسري لأبنائهم في تعليمهم بعض المهارات، وتجنّب بقاء أولادهم طوال الوقت على الرسوم المتحرّكة والاستفادة من قنوات «يوتيوب» المتخصصة في مجالات العلوم للأطفال ومجالات المعلومات المفيدة، فهذه فرصة ثمينة لديهم لتنمية حس التعلّم الذاتي وحب التعلّم بعيدًا عن الاكراه الذي كانت تمارسه المدرسة في الدرس وحل الواجبات والفروض المنزليّة.

* أستاذ جامعي وخبير في تكنولوجيا التعليم

«نبريش» النراجيل الصحي... ليس صحياً

أمال خليك

يبرع اللبنانيون في محاولاتهم الالتفاف على فيروس «كورونا»... ولكن من دون جدوى، على ما يبدو. بعد ثبوت ضرر النراجيل في نقل عدوى الفيروس في حال استخدامها من أكثر من شخص (عدا عن مضارها الأخرى)، لجأ المدخنون إلى «نبريش» البلاستيك الذي يُستخدم لمرة واحدة للحؤول دون انتقال العدوى. وبما أن لبنان «ينفرد» بين دول قليلة من تلك الموبوءة اليوم، بانتشار ظاهرة النرجيلة، تحولت الشائعات الصحية حول «النبريش السحري» إلى «حقائق» صدقها كثيرون.

الخرطوم البلاستيك الشفاف الذي يستخدم لمرة واحدة فقط قبل أن يرمى. كان متوافراً في محال بيع النراجيل ولوازمها وفي المقاهي منذ ما قبل «أزمة كورونا»، لكن الطلب عليه «كان محدوداً جداً» وفق عبد همام، صاحب محل للنراجيل في الصرفند. سابقاً، كان سعره لا يتجاوز الـ 500 ليرة لبنانية. ليتخطى اليوم الـ 2000. فبعد قرارات إقفال المقاهي و«الكافيهات» وتراجع الطلب على «ديليفري الأراغيل» الجاهزة، شكل الخرطوم بديلاً لكثيرين، إذ إنه «صحي ولا ينقل الجراثيم» بحسب همام الذي يستدرك أن «الأطباء يجسمون ما إذا كان صحياً أو لا».

الاختصاصية في الأمراض الجرثومية والمعدية غنوة الدقدوقي جزمت في اتصال مع «الأخبار» بأن «نبريش» النرجيلة البلاستيك لا يقي من الإصابة بالفيروسات. «فمن يتناول النرجيلة لا يمكنه الإفلات من خطرين محدقين: نقص المناعة والدخان. التدخين بشكل عام يؤدي إلى نقص في مناعة الجسم، ما يعرّض المدخن لقابلية الإصابة بأي التهاب فيروسي». أما «النبريش»، فالنرجيلة لا تختصر به. «عندما ينفث شخص دخان النرجيلة، فإن الرذاذ المتصاعد من فمه ورئته إلى الهواء ينتشر على من حوله، حتى لو استخدم الخرطوم بمفرده، ولا سيما أنه بات معلوماً بأن المصاب قد لا تظهر عليه العوارض. هذا فضلاً عن احتمال التقاط الجراثيم بمجرد حمل النرجيلة وانتقالها من يد إلى أخرى».

على الغلاف

اعتراف أميركي يعزّز الشكوك الصينية:

وفيات بكورونا سُجّلت في خانة الإنفلونزا

(أ ف ب)

علي عواد

في تطور مثير للأحداث، تتبادل بكين وواشنطن الاتهامات بشأن منشأ فيروس كورونا الجديد. يأتي هذا الخلاف بعد تناقص عدد حالات الإصابة بالفيروس في الصين وقرب الانتهاء من حالة التفشي لديها. وبسبب هذا الارتياح، تفرّغت الصين للبحث عن منشأ الفيروس، وهي اليوم ترفض «النظرية» التي أرسيت حول العالم بأن مدينة ووهان هي بؤرة انتشار الفيروس الأولى.

يوم الخميس الماضي، غرّد المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية تشاو لي‌جيان على تويتر قائلاً إن «الجيش الأميركي قد يكون هو الذي جلب الوباء إلى ووهان»، وأضاف: «متى ظهر المرض في الولايات المتحدة؟ كم عدد الناس الذين أصيبوا؟ ما هي أسماء المستشفيات؟.. تحلّوا بالشفافية!». ليختم: «أميركا مدينة لنا بتفسير».

رفضت الولايات المتحدة الأميركية الرواية الصينية واحتجّت عليها، وصنّفتها تحت خانة «المؤامرة» مضيفةً أن لا دليل على ذلك. وفيما تتخبط الولايات المتحدة الأميركية اليوم في سبل مواجهة انتشار فيروس كورونا على أراضيها، وخصوصاً بعدما تبيّن أن معدات الفحص الخاصة بتحديد إصابة شخص ما بفيروس كورونا التي صنعها المركز الأميركي للسيطرة على الأمراض (CDC)، فيها عيوب في التصنيع جعلت منها غير ذات قيمة، بالإضافة إلى بيروقراطية مستغربة وضعها المركز لمن يجب فحصه للتأكد من إصابته بكورونا، ما منع سكان الولايات المتحدة من الحصول على الفحص بالشكل الكافي. وفيما تحاول واشنطن تسريع عملية صنع معدات فحص جديدة وتوزيعها على كل المختبرات العامة في كل الولايات، أتت جلسة استماع في مجلس النواب الأميركي للتحقيق في ما حصل بأجهزة الفحص الخاصة بكورونا، لتزيد سخط السكان الخائفين، فضلاً عن أنها كشفت أمراً بالغ الأهمية والخطورة. رئيس المركز الأميركي للسيطرة على الأمراض، روبرت ردفيلد، اعترف أمام الكونغرس، يوم الأربعاء الماضي، بوفاة أشخاص تم تشخيص حالتهم بأنهم مصابون بالإنفلونزا، فيما تبيّن لاحقاً أن سبب الوفاة هو الإصابة بالكورونا، ما يعزّز الفرضية الصينية. ونشر المسؤول الصيني على حسابه على تويتر مقتطفاً من حوار رئيس المركز الأميركي للسيطرة على الأمراض مع عضو الكونغرس هارلي رودا، جاء فيه:

هارلي رودا: «إذا توفي شخص بسبب الإنفلونزا، فهل تجري الآن تحاليل لمعرفة سبب الوفاة، لمعرفة إن كان السبب هو الإنفلونزا أو كوفيد-19؟»

روبرت ردفيلد: «لدى مركز مكافحة الأمراض نظام لمراقبة الوفيات الناتجة عن الالتهاب الرئوي. لا يتوفّر في كل مدينة، وكل ولاية، وكل مستشفى».

هارلي رودا: «يعني ذلك أننا قد نشخّص سبب الوفاة على أنه إنفلونزا فيما هو في الواقع كوفيد-19؟».

روبرت ردفيلد: «في الواقع، حصل ذلك في بعض الحالات في الولايات المتحدة».

المتحدّث باسم الخارجية الصينية كان قد ربط ارتفاع معدل الوفيات بالإنفلونزا في الولايات المتحدة

> **في مقابل 210 آلاف فحص في كوريا الجنوبية، سجّلت الولايات المتحدة أقل من 9 آلاف فحص**

الأميركية العام الماضي (37 ألف شخص، بحسب دونالد ترامب)، بتغطية تقوم بها السلطات في واشنطن على حقيقة أن بؤرة الانتشار الأولى لفيروس كورونا كانت في الولايات المتحدة، وليس في ووهان الصينية، وأن ارتفاع تلك الوفيات لم يكن بسبب الإنفلونزا، بل، بسبب فيروس كورونا.

هذا وأصبح مقطع فيديو يظهر روبرت ردفيلد يقول إن بعض ضحايا الإنفلونزا تم تشخيصهم بعد وفاتهم على أنهم مصابون بكوفيد-19، من أكثر الأمور التي تم البحث عنها على موقع ويبو الصيني المشابه لموقع تويتر، حيث قال بعض مستخدميه إنه دليل على أن الفيروس نشأ في الولايات المتحدة.

بكين بدأت تثير الشكوك في أواخر شباط الماضي، عندما أخبر تشونغ نانشان، الخبير المرموق في لجنة الصحة الوطنية ومكتشف فيروس السارس (2002-2003)، الصحافيين «أن الوباء ظهر لأول مرة في الصين، ولكن لم يكن منشأه بالضرورة في الصين».

وتجدر الإشارة، إلى أن عدد الفحوص المخبرية الكلية لتحديد الإصابة بفيروس كورونا في الولايات المتحدة الأميركية، حتى العاشر من الشهر الجاري، لم يتجاوز الـ8554 فحصاً (عدد السكان 331 مليون نسمة)، بينما فحصت كوريا الجنوبية أكثر من 210 آلاف شخص (عدد السكان 51 مليوناً)؛ وغرّد جيسي لينرش المتحدث باسم السياسة الخارجية للمرشحة السابقة هيلاري كلينتون على صفحته على تويتر قائلاً: «هذا الأسبوع، مركز السيطرة على الأمراض الأميركي فحص 77 شخصاً في الولايات المتحدة فقط، بينما فريق يوتاه جاز لكرة السلة فحص 58 شخصاً»، في سخرية واضحة من عدد الفحوص التي يقوم بها مركز السيطرة على الأمراض.

(أ ف ب)

ترامب يعلن «الطوارئ»... ويلوم أوباما على إخفاق النظام الصحي

بعد أسابيع من تقليله من خطوره فيروس كورونا، اضطرّ الرئيس الأميركي دونالد ترامب أمس إلى إعلان حالة الطوارئ في الولايات المتحدة الأميركية، بهدف مواجهة الوباء. وقال ترامب من حديقة البيت الأبيض: «بهدف إطلاق القدرة الكاملة للموارد الحكومية الاتحادية، أعلن رسمياً حال الطوارئ الوطنية». وتعهد الرئيس الأميركي بتعزيز القدرات على إجراء فحوص كورونا في شكل كبير، بعد الأزمة التي تسببت بها معدات الفحص الأميركية غير الفعّالة.

وأعلن ترامب عن شراكة جديدة مع القطاع الخاص من أجل تعزيز وتسريع قدرات بلاده على إجراء فحوص كورونا بشكل كبير، وذلك بعدما تعرضت إدارته لانتقادات واسعة لناحية بطء إجراء الفحوص الطبية.

وأوضح الرئيس الأميركي أنّ القرار سيتيح الوصول إلى نحو 50 مليار دولار لمكافحة الفيروس. وأضاف: «أدعو كل ولاية إلى إنشاء مراكز طوارئ بشكل فوري»، كما دعا المستشفيات إلى تفعيل خططها «لاستجابة حاجات الأميركيين»، متعهداً «تعزيز» القدرات على إجراء الفحوص الطبية «في شكل كبير».

إلى ذلك، كان الرئيس الأميركي قد اتهم في وقت سابق من نهار الأمس بتغريدة من حسابه على تويتر، إدارة الرئيس السابق أوباما وحمّلها مسؤولية فشل نظام فحوص الأمراض الخاصة بمركز السيطرة على الأمراض الأميركي (CDC)، قائلاً: «لعقود، درس الـCDC نظام الفحوصات لديه، لكنه لم يفعل شيئاً حيال ذلك. نظام الاختبار هذا وفي ظل أي نوع من الأوبئة كان سيبقى بطيئاً ونتائجه غير دقيقة (في إشارة الى فشل أنظمة الفحص التي صنعها الـ CDC بدايةً، بدل استخدام أجهزة الفحص من منظمة الصحة العالمية)، اعتقدوا أن الوباء لن يحدث أبداً، فيما التغييرات التي أجراها أوباما زادت الأمور تعقيداً».

وسجلت الولايات المتحدة حتى أمس، أكثر من 2000 إصابة بالفيروس فيما لقي 41 شخصاً مصرعهم. وبات الفيروس منتشراً في 47 ولاية.

شريك ترامب في التشكيك بخطورة

> **منظمة الصحة العالمية: أوروبا حالياً هي بؤرة وباء «كوفيد 19»**

كورونا وفي غيرها من السياسات، الرئيس البرازيلي جايير بولسونارو، بات من المشتبه في إصابتهم بالفيروس. فبعد إجرائه فحوصات، قال إدواردو بولسونارو، إبن الرئيس البرازيلي لقناة «فوكس نيوز» الأميركية، إن النتيجة أظهرت أن والده مصاب بفيروس كورونا، وأن عليه أن يعيد الفحص قريباً. لكن بولسونارو الابن عاد ونفى للمحطة نفسها أن تكون نتيجة الفحص إيجابية. وتجدر الإشارة إلى أن بولسونارو التقى ترامب قبل أيام في الولايات المتحدة الأميركية، حيث كان برفقة مسؤولين برازيليين آخرين تبين أن أحدهم على الأقل مصاب بالفيروس.

أوروبا

وفيما تنخفض أرقام الإصابات في الصين، قال المدير العام لمنظمة الصحة العالمية، تيدروس أدهانوم غيبريسوس، إن «أوروبا حالياً هي بؤرة وباء كوفيد 19 العالمي»، مشيراً إلى أن عدد الحالات التي تُسجَّل يومياً يفوق عدد الحالات اليومية التي سجلت في الصين خلال ذروة انتشار المرض.

وأغلقت دول أوروبية بشكل تام أو جزئي حدودها بشكل منفصل، واقترح الرئيس الفرنسي ماكرون على الاتحاد الأوروبي، فرض قيود مشددة على حدود منطقة شنغن والتي تضم 26 بلداً أوروبياً، وإغلاقها في المناطق الأكثر تضرراً.

إلى ذلك، سجلت إيطاليا أمس 250 حالة وفاة، وهو رقم قياسي خلال 24 ساعة (الرقم الأعلى الذي سُجّل سابقاً في الصين لم يتجاوز الـ150 حالة وفاة في 24 ساعة)، كما أعلنت النمسا وبلغاريا واليونان إغلاق المتاجر غير الضرورية. وبقيت الصيدليات ومحال السوبرماركت والمستوصفات والعيادات الطبية مفتوحة في اليونان. فيما كان لافتاً إبقاء الانتخابات البلدية في فرنسا في موعدها المقرر الأحد، بينما أرجات بريطانيا الانتخابات المحلية المقررة في أيار لمدة عام. وحتى يوم أمس سجلت أوروبا 27,741 حالة إصابة و1182 وفاة. فيما يبدو أن إسبانيا باتت متجهة نحو الأسوأ بعد تسجيل 2086 إصابة جديدة ليصبح عدد الإصابات الكلي 5232 و133 حالة وفاة بينها 47 حالة في آخر 24 ساعة. (الأخبار)

عن عالم المستقبل الذي أخذنا إليه «كوفيد ـ 19»

(أ ف ب)

علي عواد

في آذار 2011، تعرضت اليابان لزلزال كارثي تسبب في «تسونامي» قتل آلاف الأشخاص وتسببت أضراره بخسائر بمليارات الدولارات، في واحدة من أسوأ الكوارث في العصر الحديث. يومها، ساد الذعر من تسرب إشعاعات نووية من محطة فوكوشيما للطاقة النووية التي تعرّضت لأضرار. عملت السلطات على إرسال روبوتات لمراقبة مستويات الإشعاع ومحاولة بدء عملية التنظيف، لكن حصل ما لم يكن في الحسبان. إذ أدت الإشعاعات إلى حرق إلكترونيات الروبوتات، حتى تلك المصممة خصيصاً للتعامل مع كارثة من هذا النوع. وشيئاً فشيئاً، تحوّلت محطة الطاقة الى مقبرة ضخمة للروبوتات. أدت تلك الكارثة يومها إلى إحداث قفزة تطويرية هائلة في عالم الروبوتات. وربما نحن اليوم، مع انتشار وباء «كورونا» عالمياً، أمام قفزة هائلة أخرى، ولكن على صعيد التكنولوجيا كلها.

الفيروسات بحاجة إلى حاضن كي تعيش وتنتشر. وفي حالة «كورونا»، الحاضن هنا هم البشر. لهذا، فإن أولوية سياسات مواجهة انتشار الفيروس التي تتخذها كل دول العالم، اليوم، هي لتخفيض التواصل بين الناس الى حدوده الدنيا، والحرص على بقائهم في منازلهم، وخصوصاً في بؤر الانتشار الرئيسية. لكن البقاء في المنزل ليس بالأمر السهل. والبشر بطبيعتهم يخافون الوحدة ويحبّذون التواصل. تأمين كل ما يحتاج إليه هؤلاء لالتزام المنازل، إضافة إلى الحاجة الى مراقبة حالتهم الصحية من دون إغراق المرافق الطبية بالمصابين وإحداث فوضى، وفي الوقت نفسه الإبقاء على عجلة العمل والإنتاج، تطرح تحديات كبرى أمام التكنولوجيا بكل أشكالها، وربما تكون الطفرة التكنولوجية الجديدة قد بدأت بالفعل.

بدايةً، يمكن أن يساعد إنترنت الأشياء (IoT)، وهي كل الأجهزة المتصلة بالإنترنت كالساعة الذكية والهواتف وغيرها من الأجهزة التي تقدم شبكة من الأنظمة المترابطة والمتقدمة في تحليل البيانات والذكاء الاصطناعي، في حصر انتشار الفيروس ومكافحته. هذه الأجهزة، بطبيعتها الحالية، ترسل تقارير بشكل دوري الى الشركات المصنعة التي تجمعها في ما يعرف بـ «البيانات الكبرى» BIG DATA. ومن خلال ذلك يمكنها توفير نظام إنذار مبكر للحد من انتشار الأمراض المعدية. وكمثال لذلك، فإن ساعة «أبل» الذكية تتضمّن تخطيطاً للقلب معترفاً به من المستشفيات، وفيها إنذار لذوي مستخدمها في حال استشعرت وقوعه أرضاً. وفي حالة الوباء العالمي اليوم، ستكون لتلك الأجهزة قدرات جديدة مثل فحص حرارة المستخدم وغيرها من الأعراض التي يمكن أن تؤشر إلى إصابته بالفيروس، وترسل التنبيهات إلى الفرق الطبية، ما يسهل عملية حصر انتشار الفيروس.

كما يمكن أن نتخيل في الأشهر المقبلة ـ وكما هي الحال في مدن صينية عدة الآن ـ إنشاء المؤسسات والحكومات شبكة عالمية ضخمة من أجهزة الاستشعار للكشف عن الفيروسات بشكل جماعي. صحيح أن ذلك يتطلب كثيراً على صعيدَي التخطيط والتنفيذ على نطاق عالمي، إلا أنه ممكن، وقد فعلتها الصين أساساً. لنتخيل مدينة كبيرة وذكية، تضم ملايين البشر المكشوفين أمام أجهزة استشعار تفحص حالتهم الصحية وتتنبأ بحصول تناقل للعدوى قبل أن يرتقي ليصبح وباءً. أمر كهذا سيكون أحد أهم الإنجازات في تاريخ البشرية.

الروبوتات موجودة بيننا اليوم وبقدرات مذهلة. سيارات ذاتية القيادة، وطائرات من دون طيار DRONES، صغيرة الحجم تتنقل بين المباني، وترسل الأطعمة والحاجات إلى كل من يطلبها. لكن الحاجة إلى وسيط غير بشري اليوم، سيدفع بهذه الأنظمة أيضاً إلى التطور بشكل كبير والاعتماد عليها بنسبة أكبر. يمكن، عندها، أن نتخيل سرباً من آلاف طائرات الدرونز تجوب سماء المدن لرشّ المبيدات وتوصيل «الدليفري»، والسيارات الذاتية القيادة تقوم بنقل المرضى إلى المستشفيات، من دون الحاجة إلى تدخل بشري إلا في الحالات الحرجة التي يكون أصحابها غير قادرين على التنقل أو الصعود بأنفسهم. هذه التكنولوجيا كلها موجودة الآن، ويمكن البدء باستخدامها، كما فعلت الصين التي لم تترك روبوتاً إلا استخدمته في المرافق الطبية وفي الشوارع والأزقة.

صحيح أننا اليوم في عين العاصفة، وقد تبدو نهاية النفق بعيداً لكثيرين. لكن البشرية، عبر العصور، خرجت من كل المحن بشكل أقوى. المستقبل أمامنا، وربما «أفضل» ما يفعله فيروس «كورونا» أنه يسرّع القفز إليه... فقط.

اللوثة الليبراليّة في الثقافة السياسية العربية

أسعد أبو خليل *

في الوقت الذي تعاني فيه البشرية من خطر فيروس «كورونا» الذي ـ بحسب التهويل ـ يعيد التذكير بهول الطاعون الأسود الذي قضى على ثلث سكّان أوروبا في القرن الرابع عشر، طلع لبنانيون ليبراليّون يبشّرون الشعب اللبناني، والإنسانية جمعاء، بقرب التوصّل إلى علاج لهذا الفيروس من قبل علماء إسرائيليّين. ومن شدّة إيمان هؤلاء بالعبقرية الإسرائيلية، بلغ بهم الأمر أن بشّروا بقرب إنتاج العلاج (حدّدوا مدّة أسبوعيْن، مضت ووَلّت)، داعين إلى ضرورة وصوله إلى لبنان. وطرح هؤلاء، كالعادة، معضلة أخلاقية ـ سياسية: هل ننشد الترياق لو أتانا من دولة العدوّ الإسرائيلي، أم نموت في سبيل المقاطعة؟ طبعاً، لا من ترياق إسرائيلي ولا من يحزنون، لكنّ عقليّة هؤلاء تتمنّى لو أنّ إسرائيل تتوصّل إلى أدوية شافية لكل الأمراض المستعصية، كي يصبحوا مروّجين لها (الوكلاء الشرعيّين) في العالم العربي (ويجنون من خلال الترويج نصيباً ماليّاً على الأرجح). ولم يعوّل الإعلام العالمي ـ بما فيه الإعلام الصهيوني الأميركي ـ على خبر عارض مرّ عن أبحاث لاكتشاف علاج لـ«كورونا» في إسرائيل. إلا أنّ هؤلاء أرادوا فقط تحدّي فريق مقاطعة إسرائيل، بعدما تكاثبت كل الأنظمة العربية لتشكيل جبهة متنوّعة (من الأصوليين المتزمّتين إلى الليبراليّين، مروراً بالبيارتيين المنضوين في فريق النظام السعودي أو الإماراتي أو القطري في العالم العربي)، لصدّ ومحاربة مقاومات إسرائيل. وفي الوقت الذي تتنامى فيه حركة مقاطعة إسرائيل في الغرب، يتنامى في العالم العربي فريق ليبرالي يُنفق الساعات ومساحات الإنترنت، فقط للسخرية من مقاطعة إسرائيل وللتقليل من فعاليّتها. المفارقة، أنّ العدو نفسه يعترف بخطر المقاطعة، ويكرّس ملايين الدولارات لمحاربتها، بينما تضغط اللوبيات الإسرائيليّة حول العالم على حكومات الغرب لسنّ قوانين ضد المقاطعة، لكنّ ليبراليّي لبنان يصرّون على أنّ المقاطعة بلا جدوى ويعلنون عزمهم ـ من دون إعلان ذلك بالحرف ـ على التفرّغ للسخرية من حملة مقاطعة إسرائيل، لأنّ ذلك برأيهم قضيّة عادلة تستحق الجهد والوقت.

هذه السمة في محاربة مقاطعة إسرائيل، هي من سمات اللوثة الليبرالية في الثقافة العربية. وهذه اللوثة لم تكن يوماً منفصلة عن حملات ومؤامرات الغرب في بلادنا: منذ الفوج الأوّل لليبراليّين العرب في القرن التاسع عشر، كانت الليبراليّة العربية مشروعاً لاستبدال الحكم العثماني بالاستعمار الغربي. ويروي في ذلك شكيب أرسلان، عن أن دول الغرب استغلّت تنامي النقمة ضد الحكم التركي، في أوائل القرن العشرين، كي تغزل للعرب وعوداً عن استقلال ناجز، وعن إرجاع أمجاد العرب القديمة. لكنّ هذا التطلّع نحو الغرب (الذي يعدّه البرت حوراني دليلاً على النهضة العربية) لم يكن سارياً بين الناس، بل كان شعور النخبة الطبقية في المدن (هل شهد اندحار الإمبراطورية العثمانية تظاهرة واحدة للاحتفال بسقوط الحكم التركي؟ حتى في لبنان، حيث أنتجت النخبة هناك ـ الفينيقية والعروبية على حد سواء ـ سردية خيالية عن مقاومة لبنانية ضد نير العثمانيّين، لم تكن هناك أي بادرة ابتهاج بنهاية الحكم التركي).

ولم يكن الفكر الليبرالي في أطواره المختلفة، منفصلاً عن مصالح طبقة محليّين أو مستعمرين غربيّين: كان الفكر الليبرالي، في عصر الحرب العربية الباردة في زمن عبد الناصر، مرعيّاً مباشرة من النظام السعودي والكويتي (والأردني والخليجي بشكل عام)، لأنّ ذلك كان عنوان معاداة عبد الناصر وعنوان معاداة الشيوعية. والطرف العربي في هذه الحرب العربية الباردة الذي كان يقف في صف أميركا، كان يستعير من مصطلحات الدعاية السياسية الأميركية الرسمية، فأصبح شعار هؤلاء الطغاة المتخلّفين (حتى عن ركب الحضارة الغربية التي كانوا من أدواتها) الحرية مقابل طغيان جمال عبد الناصر المزعوم. ظنّ هؤلاء أن أنظمتهم الاستبدادية الرجعية يمكن أن تعطي دروساً لنظام عبد الناصر الحداثي، فقط لأنهم ساروا وييسرون في ركب الاستعمار الغربي. وحتى الساعة، تجد في إعلام الأنظمة الخليجية تعريضاً بنظام عبد الناصر (الذي قضى قبل نصف قرن من الزمن)، لأنّ ذلك يُنعش خطابهم المُنتقم من زعيم أذلّهم (قبل هزيمة 1967).

آثار الليبراليّة العربية بادية، اليوم، في عصر الانتفاضات العربية: عكست هذه الانتفاضات نفوذ وأثر الفكر الليبرالي العربي في الثقافة السياسية العربية. لكنّ الليبرالية العربية التي يريدها الغرب، هي غير تلك الموجودة في دول الغرب. خذوا ما يتعلّق بـ«العدو» (بتعريفه)، كما أنه يفرض ضوابط وقيوداً على كل ما يتعلّق بمقدّساته الإيمانية أو السياسية. وقد تطوّرت قوانين حرية التعبير في الغرب، إلى درجة تتيح التجديف والذم بالدين والله والأنبياء (لكنّ القوانين تختلف بين دولة غربية وأخرى)، لكنّ المقدّسات السياسية باتت أقدس ممّا كانت عليه. تمنع كندا وفرنسا والمانيا، وغيرها من الدول، إنكار المحرقة النازية ومعاداة السامية، مثلاً. في القوانين سياسية الهدف، وتتعلّق ببراعاة دولة إسرائيل، وليس بالإنسانية. لكنّ حكومات الغرب ترفض، مثلاً، حظر حرية التعبير عن المجاهرين بالصهيونية في بلادنا (مع أنهم أعداؤنا الرسميّون، كأن إيران والقاعدة وروسيا أعداؤهم)، أو عن عملاء العدو الإسرائيلي الذين سرعان ما يصبحون سجناء رأي، في العرف الغربي. إنّ معاقبة مؤيّدي إسرائيل بين العرب، مسألة تثير حفيظة الليبراليّين والمحافظين الغربيّين، على حد سواء. كان كاتب السيناريو علي سالم (الذي اشتهر بسبب مسرحية مقتبسة)، يجد الترحاب في ندوات اللوبي الإسرائيلي في واشنطن، لأنّه كان من أوائل من خرق مقاطعة إسرائيل بين المصريين، وقد تُرجم كتابه الذي يروي عن رحلته إلى إسرائيل، إلى لغات أجنبية (والكتاب يعترف بالإذلال والعنصريّة، التي لاقاها الكاتب في الدولة اليهودية، لكنّها لم تزعجه، كما أنّ تصريحات مناحيم بيغن التي كانت تسخر من العرب وحقوقهم، لم تكن تزعج أنور السادات). لو أنّ أميركياً جال في إيران بسيّارته، وكتب في حب النظام الإيراني، لما كان سيُستقبل استقبال الأبطال هنا. وهناك قوانين ضد التعامل مع العدو، لكنّ الغرب يريد من العرب إلغاء تجريم التعامل مع العدوّ (ضغطت واشنطن على حركة «النهضة» لمنع تجريم التعامل مع إسرائيل في تونس، بعد الانتفاضة، ووافقت «النهضة» على ذلك مقابل دعم أميركي). أي أنّ الليبرالية الغربية تريد أن تكون الليبرالية العربية نسقَ خاص، يسمح بالتعبير متى كان في صالح إسرائيل ودول الغرب، ويمنعه متى كان في صالح مقاومة إسرائيل (كل دول الخليج والأنظمة المطيعة لأميركا تحظر الدعوات إلى مقاومة عسكرية لإسرائيل). أميركا وإسرائيل ترصدان وسائل الإعلام العربية، وتحضّان الحكومات على منع حرية التعبير، متى كانت ضارّة بمصالح إسرائيل وأميركا. كذلك، توافق الحكومة الأميركية إسرائيل على أنّ «مسيرة السلام» يجب أن تتضمّن الحدّ من حريّة التعبير عند الشعب الفلسطيني، من أجل منع أصوات المطالبة بتحرير فلسطين ومقاومة إسرائيل.

إذا كانت الليبرالية العربية حركةً إعلاميّة أدبيّة، تنشر في معاداة الشيوعية والاشتراكية والقوميّة العربية (خصوصاً في العهد الناصري)، فإنها تحوّلت إلى حركة مختلفة بعد حرب الخليج، في عام 1991. أرادت أنظمة الخليج، من وراء تلك الحركة (وهي أداة، أي أنها ليست نابعة عن إرادة شعبية، ولا تزدهر إلا في إعلام الدول الخالية من الانتخابات والتمثيل السياسي)، محاربة الفكر القومي الوحدوي، فتفرّغت أصوات الليبرالية إلى الترويج للفكر القطري، وحتى القبلي (في زمن إنعاش القبيلة والعشيرة، بعد الاجتياح الأميركي للعراق في عام 2003). وفجأة، راج الطبخ بالعشائر العربية، وصرتَ تقرأ أخبارها في الصحف بعدما كانت قد بادت في عصر التحرّر العربي. وقد قضت الثورة العراقية، في عام 1958، على السيطرة القبليّة في التمثيل السياسي، والتي كانت من فعل الاستعمار. وفي زمن الحرب العربية الباردة، كانت الليبرالية العربية تتراوح بين الدعوة الإسلامية، وبين الدعوة العربية، إلى أن تكون بقيادة أنظمة الخليج. لكنّ الهويّات تغيّرت، وصلابة الأنظمة ترسّخت، والحاجة إلى التجاوب لعواطف وأهواء الجماهير قلّت، وأصبحت ثقة أنظمة الخليج بنفسها قويّة، إلى درجة أنّها باتت تقولب وتصنع الرأي العام، ونجحت في ذلك كما نجح أنور السادات في القضاء على الهويّة العربية في مصر، والدفع باتجاه قومية مصرية فرعونيّة ذات نزعات عنصريّة.

والليبرالية العربية تتشبّع من فكر الـ«إن جي أوز»، الذي يضجّ في الثقافة العربية بمفاهيم معيّنة. النسويّة مسموح بها، على أن تكون نسويّة استعمارية، أي تلك التي تدّم بالثقافة العربية والدين الإسلامي، والتي تعظّم من دور الخصائص الثقافية في قمع المرأة وتنقص من الخصائص العالميّة الذكورية. والنسويّة الاستعمارية تتحدّث عن التعنيف وعن قتل المرأة، لكن من دون إيجاد حلول أو اقتراح سنّ قوانين جديدة مُحدّدة، كأنّ المسألة لا تُحلّ إلا بتخلّص العرب من الثقافة العربية والدين الإسلامي. الدعوات إلى وضع قمع المرأة في سياق القمع العالمي للمرأة (ليس للتخفيف من وطأته، بل على العكس لمحاربته عبر فهمه تاريخيّاً واجتماعيّاً، وهذا يدبهي في النسويّة الراديكاليّة والنسويّة ما بعد الحداثويّة) تُقابَل بالاستهجان وبالاعتراض الصبياني، أنّ هذا الفهم من شأنه التخفيف من معاناة المرأة، أو التقليل من حجم المشكلة.

وفي الاستنسابيّة النسويّة، يتسرّب الغرب في معايير موضوع ما يُسمّى بالأقليّات (طبعاً، يجب أن نصل إلى مرحلة تتنافى فيها حظوة الأكثريّة ـ على أنواعها ـ وذلك في وضع المساواة بين الناس). تجعل معايير الغرب من الأقليّة اليهودية ذات سحر خاص، فيما الأقليّات الأخرى لا أهميّة لها. وعند الليبراليّة العربية، اليهود وحدهم هم الذين يستحقّون الحنين إلى زمنهم، فيما لا يتورّع هؤلاء الليبراليّون عن دعم حركات وتنظيمات دينيّة تؤمن بتكفير وقتل الشيعة والمسيحيّين والعلويّين والدروز. وقد بات التاريخ الصهيوني لوضع اليهود، هو السائد: فتقرأ أن اليهود «طُردوا» من العالم العربي برمّته (وهذه سرديّة صهيونيّة تهدف إلى مساواة «طرد» اليهود العرب مع طرد الشعب الفلسطيني من أرضه، من أجل نفي حق العودة عن شعب فلسطين). لكنّ وضع اليهود في الدول العربية، اختلف بين دولة وأخرى، وليس صحيحاً أنهم طُردوا من كل الدول العربية. هناك دول لم يخرج اليهود منها، إلا بضغط إسرائيلي ـ أميركي: الإدارة الأميركيّة هي التي كانت تضغط على حكومات سوريا واليمن لإخراج اليهود منها، كما أنّ حكومة العدو مسؤولة (كما في تهجير يهود العراق) عن خروج اليهود من الدول العربية. وتجنيد اليهود العرب من قبل «الموساد» (وبعد سنوات قليلة فقط من إنشاء دولة الاحتلال، كما في حالة خلايا الإرهاب الإسرائيلية في مصر في فضيحة «لافون» في الخمسينيّات)، هو الذي وضع اليهود في موضع الشك، وزاد من ضغط الحكومات عليهم. هذا لا ينفي أنّ حالة من العداء تنامت في أوساط الشعب العربي ضد اليهود المحليّين (كما في تونس أو لبنان أو سوريا)، وقد ساهمت إسرائيل في ذلك، عبر تنصيب نفسها كدولة لكل اليهود ـ المقيمين فيها وغير المقيمين.

ويدرج في أدب الرواية العربية الاستنجاد بالحنين لليهود العرب، لأنّ ذلك من شأنه ضمان ترجمة العمل إلى اللغات الأجنبية. كذلك، يُكثر الإعلام العربي من تناول موضوع اليهود العرب، لكن وفق السرديّة الصهيونية. لكن، كان هناك فلسطينيون ومسلمون في بيروت الشرقية، وعاشوا فيها لعقود طويلة: وليس هناك في كتابات الليبراليّة العربية (في لبنان أو خارجه)، أي تناول لهم، بل إنّ النسيان طمس تاريخهم بالكامل. ليست هناك روايات عن حي النبعة، أو تل الزعتر، لأنّ الليبراليّة العربية متصالحة مع الانعزاليّة اللبنانية، إذ إنّ للطرفيْن راع واحد في الرياض. ولماذا ليس هناك حنينٌ إلى الجالية الفلسطينية في الكويت، والتي تعرّضت للقمع والتهجير بعد اجتياح العراق في عام 1990؟ تعرّضت أملاك وثروات هؤلاء للسرقة من قبل شركاء محليّين. وكانت الجالية الفلسطينية عنصراً أساسيّاً في بناء الكويت الحديث، وفي إصدار إعلام الكويت. والليبراليّة المصرية مسموح لها أن تتذكّر تاريخ اليهود في مصر، لكن ليس تاريخ الشيعة العريق فيها، لأنّ ذلك يتعارض مع غرض الليبراليّة في استغلال الحساسية الاستنسابية في صالح مشروع التصالح بين العرب وإسرائيل.

ليست الليبراليّة العربية مشروعاً شعبياً. إنها مشروع نُخبوي مفروض من فوق (كما كان إبان الحرب العالمية الأولى في بلادنا وتحت شعارات التحرّر العربي). يتسرّب الغرب إلى دولنا وثقافتنا، عبر مجالات متنوّعة لا تخترقها جحافل الجيوش، أو أن جحافل الجيوش تحتاج إلى ثقافة محليّة مُساندة. والمشروع الديموقراطي العربي هو مشروع استنسابي لليبرالي عربي، ينطلق من غرض الغرب في فرض استعماره. تريد الليبراليّة العربية انتخابات في سوريا وإيران فقط، لكنّها لا تريدها في الرياض أو الدوحة أو أبو ظبي أو الرباط. أي أنّها تريدها شعاراً يحرج أعداء أميركا. والأنظمة التي أنشأتها أميركا في العراق وأفغانستان، تتعارض مع أبسط مفاهيم الليبراليّة النظريّة، لكنّها لا تتعارض مع ليبراليّة حروب الاستعمار الغربي. والنظام العراقي الطائفي كان مقصوداً في ترسيخه للهوية الطائفيّة التي كانت شبه غائبة عن العراق، لأنّ زرعها يقوّض المشروع والهويّة الوطنيّة في العراق. والذين تظاهروا تحت شعارات «بدنا وطن» في الانتفاضة العراقيّة الأخيرة، نسوا أنّ الحكومة الأميركيّة هي المسؤولة الأولى عن ضياع وطنهم، لكن يبدو أن حرق القنصليّة الإيرانيّة في النجف كان أسهل لهم في مشروع بناء الوطن الذي يبحثون عنه. وهذا الأسبوع أدّى رئيسان ـ لا رئيس واحد ـ يمين القسم الرئاسي في كابول، لأنّ الانتخابات (التي لم تكن إلا مزوّرة في ظل الاحتلال الأميركي) لم تفضِ إلى نتيجة مقنعة أو لم تكسب نتائجها مشروعية، ربما لأنّ الاحتلال هو ناخب أساسي فيها. يصمت الذين روّجوا لاحتلال أفغانستان عن نظام برأسيْن.

الليبراليّة العربيّة سلميّة باتجاه واحد: هي مع السلم بالمطلق ضد إسرائيل، وتعتنق الخطاب الصهيوني في وصف العمل الفدائي بـ«الإرهاب» (قد يكون اللبناني ــ اليساري السابق ــ وضّاح شرارة، السبّاق في وصف جورج حبش بـ«الإرهابي» في جريدة «الحياة» اللندنيّة في التسعينيّات. وشرارة كان سابقاً من «مؤسّسي منظمّة العمل الشيوعي»، قبل أن ينتقل إلى محاولات تنظيميّة أخرى لم تعمّر. واختيار «الحياة» لإطلاق وصف الإرهاب على مقاومة إسرائيل ليس عشوائيّاً: المشروع الليبرالي الخليجي كان ينطق في جريدة «الحياة» في زمن الحرب العربية الباردة في الستينيّات، وهو عاد وجدّد اختياره لـ«الحياة» في التسعينيّات، عندما استأجر خالد بن سلطان الجريدة من مالكها اللبناني، وذلك لغرض مساندة الحرب الأميركية في العراق. وجريدة «الشرق الأوسط» كانت هي، أيضاً، منبراً لليبراليّين التطبيعيّين العرب وصهاينة الغرب). الليبراليّة العربية مع حروب الغرب وإسرائيل ضد العرب، وضدّ حروب العرب ضد الاحتلال الإسرائيلي والأميركي. الليبراليّة العربية سلميّة في ما يتعلّق بإسرائيل والدول المطيعة لأميركا، ومع حرب شروس ضد كلّ أعداء أميركا وإسرائيل. بين المقاومة والاحتلال، هي حتماً مع الاحتلال، وبين الطغيان والديموقراطية هي حتماً مع الطغيان. هي لليبراليّة فقط في معنى استغلالها لشعارات لليبراليّة، تخدم أغراض استبداد أنظمة الخليج ونشر الاحتلال الإسرائيلي والغربي.

والليبراليّة العربية ليست مشروعاً محليّاً: هي مشروع متنافر في تكوينه، إذ أنّه يفتقر إلى قاعدة محلية شعبية، فيعوّض له الغرب عن ذلك بتمويل سخي. هل يعقل، مثلاً، أنّ كل هذه المواقع الإخباريّة والسياسيّة العربيّة على الإنترنت تنطق بالخط الليبرالي نفسه؟ لو أنّ بعضها انتهج سياسة معادية للغرب، هل يستمرّ التمويل؟ ومؤسّسة جورج سوروس (والتي تعرّضت لتشنيع معادٍ للسامية في بعض دول أوروبا الشرقية، بحكم دورها في تفريخ منظمات غير حكومية، وهناك مبالغة في دورها من قبل معادي اليهود)، تلعب دوراً متنامياً في الإعلام العربي. والمؤسسة التي وُجدت لإعانة الاستعمار الأميركي في الحرب الباردة ومحاربة الشيوعيّة (كان هذا الغرض الأساسي التكويني لمؤسّسة سوروس) هي اليوم تخدم غرض الغرب في تجذير استعماره ونشر سيطرته، ومحاربة فكر المقاومة في العالم العربي. لم تتأثر مؤسسة سوروس عن تمويل مواقع لبنانيّة تنطق باسم «ثورة» لبنان الراحلة. وهذه المواقع، كالعادة، لا شغلَ لها إلا تقويض فكر وممارسة المقاومة وتفنيد خُطب حسن نصر الله. لكن بين غرض سوروس وشركاه في حكومات الغرب، وبين المشاعر والطموحات العربيّة هوّة لم تُردم. أميركا ودول الغرب يفرضون مقاطعات ضد أعدائهم، ويفرضون حصارات خانقة وتجويعاً، لكنّ مقاطعة سلمية لدولة الاحتلال الإسرائيلي تخدش مشاعر ليبراليّتهم التي يروّجون لها. ليبراليّتهم هي مشاركة منظّمة صهيونيّة أميركيّة في رعاية أفسد برنامج حوار سياسي لمراسيل غانم على شاشة «إم.تي.في»، والمنظمة تدرّب الحضور على أصول المناظرة وآداب الحوار، مع أنّ البرنامج من أكثر البرامج ضجيجاً وصراخاً ومقاطعة، لكنّ الغرض هو المضمون السياسي الفاسد.

وصلت الليبراليّة العربية إلى طريق مسدود، لأنّ وجودها (مثل الليبراليّة في مصر) مرتبطة عضويّاً بالاستبداد العربي المرعي من قبل دول الغرب. أي أنّ توق العرب للحرية يتعارض مع الحركة السياسية، التي تتشدّق بشعارات الحرية. والحرية الحقيقية ستطيح بالحركة التي نطقت زوراً باسمها على مدى عقود. عندها فقط، تصبح الحرية حريّتيْن: حرية في داخل البلد العربي تحميه من الاستبداد، وحرية تحميه من السيطرة والاحتلال الإسرائيلي والغربي.

* كاتب عربي (حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

> عند الليبراليّة العربية، اليهود وحدهم الذين يستحقّون الحنين إلى زمنهم، فيما لا يتورّع هؤلاء الليبراليّون عن دعم تنظيمات دينيّة تؤمن بتكفير وقتل الشيعة والمسيحيين والعلويين والدروز

عمل للفنانة الالمانية انغريت سولتو

الطاقة اللامركزية كخيار بديل

علي الهادي برجاوي *

في أولى إطلالاته الإعلامية، رفض وزير الطاقة والمياه ريمون غجر إطلاق الوعود، ووضع مهل زمنية لتأمين الكهرباء 24 / 24، كما صارح اللبنانيين بصعوبة الموقف. بدا الوزير مستسلماً أمام ما وصفه بالـoxymoron، أي إنّها عقدة تتّسم بالتناقض الذاتي، بحيث إننا نحتاج إلى أموال واستثمارات لزيادة إنتاج الكهرباء وتلبية الطلب، كما أننا نحتاج إلى زيادة إنتاج الكهرباء لنتمكّن من تخفيض العجز المالي، عبر رفع كلفة دعم سعر الكهرباء. مثله، فعل البيان الوزاري الذي شدّد على الالتزام بخطّة قطاع الكهرباء المقرّة سابقاً، بحجّة أنّ الوقت لا يسمح بوضع خطط جديدة. تشتمل الخطة، ببندها المتعلق بالإنتاج، على حلّ دائم وحلّ مؤقت. إلا أنّ معامل الإنتاج التقليدية (الحلّ الدائم)، تحتاج إلى سنوات عديدة، قبل أن توضع على الشبكة، بينما تواجه الحلول المؤقتة والسريعة رفضاً شعبياً، تحديداً في حالة الاستجرار عبر البواخر. وقد تضمنت الخطة طرحاً لدمج الحلّين، الدائم والمؤقت، مع ما يعنيه ذلك من فتح للباب أمام حلول سريعة أخرى غير البواخر، كالتي تمّ التداول بها سابقاً، والتي يمكن أن تؤمّنها شركات كبرى مثل «سيمنز» و«جنرال إلكتريك»، في غضون أشهر، عبر تكنولوجيات إنتاج سريعة، إضافة إلى الشروع في تنفيذ معامل الإنتاج الدائمة. على أنّ الوضع الاقتصادي والمالي المتأزّم والمتفاقم، بعد 17 تشرين، يطرح تساؤلات جدية بشأن إمكانية تطبيق بنود هذه الخطة، لا سيما لجهة تأمين التمويل اللازم في ظل المخاطر المالية والاستثمارية الكبيرة. وقد يحتاج ذلك إلى غطاء دولي متمثّل في برنامج لصندوق النقد الدولي، كما حصل في مصر، أو لدعم مباشر من الدول الراعية لهذه الشركات الكبرى ضمن شروط وآليات محدّدة، كما هي الحال في «مؤتمر سيدر». أمام هذا الواقع، وفي زمن البحث عن خيارات بديلة، قد لا يحتاج الوزير إلى البحث بعيداً عن حلّ مختلف: ففي مقال علمي نُشر العام الماضي، يتناول الوزير نفسه (وهو بروفيسور في نظم الطاقة) خيار التحوّل إلى نظام طاقوي غير مركزي يعتمد على مصادر إنتاج موزّعة ضمن شبكات صغيرة تُعرف بالشبكة الميكروية (microgrid)، مربوطة بالشبكة العامة لمؤسسة كهرباء لبنان. ويتم ذلك عبر تجميع مولّدات الكهرباء التي تعمل على المازوت، والمنتشرة في الأحياء والبلدات ودمجها بنظم للطاقة الشمسية الكهروضوئية. يخلص بحث الوزير إلى أنّ كلفة الإنتاج عبر هذا الترتيب أقلّ من الكلفة الحالية، كما أنّ ضرره الصحي والبيئي أقل، وذلك استناداً إلى التخفيف من الإنتاج عبر مولّدات المازوت العالية الكلفة والضرر. ويسهم هذا الترتيب، أيضاً، في تخفيف الضغط على الشبكة العامة وتخفيف الهدر الفني منها، وبالتالي تقليص العجز المالي في القطاع. وفي دراسة علمية أخرى نُشرت حديثاً من إعداد باحثين في جامعة كلية لندن، تُطرح لامركزية الطاقة كسبيل لحلّ العديد من الأزمات الاجتماعية في لبنان، وعلى رأسها أزمة الكهرباء، إضافة إلى أزمات التغيّر المناخي والنزوح الجماعي. هذا التوجه إلى اللامركزية، أضحى عالمياً بعد تطوّر تكنولوجيات الطاقة المتجدّدة، وتخزين الطاقة وانخفاض كلفتها، فهل يكون حلاً لمعضلة الكهرباء في لبنان على المدين القريب والبعيد؟

عوائق عديدة قد تواجه حلاً كهذا، منها ما هو تقني وقانوني، ومنها ما يتعلق بالسياسة وبالتمويل. تقنياً، يحتاج الترتيب إلى إجراء مسح لتوزّع الطلب على الطاقة وتوزّع المولّدات وطبيعة الشبكات الموجودة في مختلف المناطق، كما إلى تحديد أفضل أماكن لتركيب النظم الشمسية، لتأمين أعلى فعالية تقنية ومالية ممكنة من جراء الدمج. من المفترض أن تكون هذه المعلومات موجودة، وقد تحتاج إلى مطابقتها فقط. كذلك، فإنه يحتاج إلى وضع نظام لإدارة الطاقة يعطي الأولوية للطاقة الشمسية عند توافرها، ومن بعدها للشبكة العامة، ومن ثمّ الاستعانة بالمولّدات لسد العجز، ما قد يستدعي إنشاء مركز وطني للتحكم. تشغيلياً، يمكن الاستفادة من تجربة مماثلة موجودة في بلدة قبريخا الجنوبية، في مشروع تمّ تنفيذه ودعمه من قبل الاتحاد الأوروبي وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية. في القانون والإدارة، يحتاج هذا الترتيب إلى تطبيق القانون 462 أو تعديله، بما يتلاءم معه لجهة تعيين الهيئة الناظمة لقطاع الكهرباء لتنظيم عمل الشبكات اللامركزية والأطراف المعنية بها، ووضع أسس ومعايير تقنية ومالية لتبادل الطاقة بينها وبين الشبكة العامة. قانونياً أيضاً، يطرح السؤال حول التراخيص المطلوبة لإشراك القطاع الخاص في تنفيذ مشاريع إنتاج الطاقة اللامركزية، ومنها الشمسية، وتطوير شبكات النقل المحلّية والجهات المالكة والمشغّلة لهذه المشاريع.

وهنا يأتي السؤال عن العائق الأبرز، وهو مولّدات المازوت وإمكانية تشريعها. ينطوي الترتيب المطروح على الاستفادة منها، بحكم وجودها كأمر واقع، ليكون هو الحلّ المؤقت الذي تبحث عنه الدولة، علماً بأن الدولة شرعنت وجودها عبر تنظيم التسعير وتسطير المخالفات على التسعير من قبل وزارة الاقتصاد. ولكن، هل يقبل أصحاب المولّدات أنفسهم الانضواء إلى حلّ كهذا؟ وما هو المقابل لذلك؟ والأهم هو هل تقبل مافيا المازوت التي تقف خلف المولّدات بهذا الحل؟ الترتيب المقترح سيؤدي حكماً إلى تخفيض فاتورة استيراد المازوت لتشغيل المولدات. كذلك، لا يمكن لهذه المولّدات، على المدى البعيد، أن تبقى جزءاً من أيّ حلّ مستدام، وفي حال الاستمرار في صيغة اللامركزية ومع تحسّن إنتاج المعامل الدائمة يتمّ استبدالها بنظم تخزين الطاقة، في هذا السياق، يمكن الاستفادة من تجربة كهرباء زحلة، وصيغة التسوية التي حصلت في ما يخص عمل المولّدات، وهو طرح قد يلقى دعماً سياسياً كما تردّد عن رئيس مجلس النواب.

العامل الآخر هو مسألة التمويل، فكيف سيتمّ تمويل هذه المشاريع؟ على صعيد النظم الشمسية، يبرز نشاط الاتحاد الأوروبي في دعم مشاريع مماثلة في لبنان، عبر الهبات أو القروض الميسّرة، وقد تكون مرشّحة للاستمرار عبر مشاريع «سيدر». كذلك، قد تفتح مشاريع كهذه باباً للتعاون والاستثمار بين لبنان والصين، المصنّع الأول للألواح الشمسية في العالم. بدلاً من ذلك، يمكن تأمين التمويل محلياً عبر إنشاء تعاونيات للطاقة تسهم فيها صناديق بلدية أو اتحادات بلديات من جهة، ويسهم فيها الأهالي والمواطنون من جهة أخرى، لا سيما المتموّلون من أبناء الاغتراب، وهو ما قد يحتاج إلى تطوير قوانين ترعى عمل تعاونيات كهذه. ومن الممكن للقطاع المصرفي المحلّي أن يلعب دوراً داعماً لمبادرات أهلية من هذا النوع بعد إعادة هيكلته، ليضطلع بدور جديد يسهم في كسر الاحتكارات وتنمية الاقتصاد المحلّي وخلق فرص عمل جديدة.

قد لا يكون هذا الطرح هو الأمثل بالمطلق، إلّا أنّه جدير بالدراسة في الوضع الراهن، للاستفادة من القدرات الموجودة بحكم الأمر الواقع على مدى القصير، إلى حين الوصول إلى الحلول الدائمة واستقرار الوضع المالي والاقتصادي في البلد، ما سيشكل أرضية للتحوّل الطاقوي المستدام على المدى البعيد.

*باحث في دراسات الطاقة

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، امل الأندري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500، 01759597
ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوفاك 15 ـ 01 / 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

أهل الشام

ريبورتاج

ارتفعت نسبة المستثمرين في قطاع المقاهي في العاصمة السورية. مقاهٍ «عصريّة»، درجت تسميتها بـ«كافيهات»، من مختلف المستويات والمساحات. وتزايدت أعدادها في شكل لافت. الدواعي كثيرة، على رأسها سهولة إطلاق هذا النوع من الأعمال، في ظل تحول مخيف لنمط الاقتصاد السوري من اقتصاد إنتاجي إلى اقتصاد خدمي استهلاكي. علاوة على انطلاق كثير من أصحابها من فكرة «شريك الماء لا يخسر». وتأسيس أعمالهم باستسهال ومن دون السعي إلى تحقيق تمايز فعلي. كل ما يحتاج إليه الأمر، صالة مستأجرة أو مشترأة، ديكور، طاولات وكراسٍ، بعض المعدّات، بافطة واسم، وافتتاح

مع انحسار مساحات «السيران» باتت الكافتريات والمطاعم متنفّساً اساسيا (أ ف ب)

«رأس المال» شريكاً للماء: «الكافيهات» تبتلع دمشق!

عامر فؤاد عامر

قبل عامين عاد لبيد، إلى سوريا، بعد اغتراب دام ثلاثين عاماً في إحدى الدول الخليجية. سعى ابن مدينة التل إلى توظيف رأس مال في مواد البناء ومجال الصناعة، لكنّه لم يحصل عائدات مناسبة. بعدها، قرّر الاستثمار في مجال «سهل»، فافتتح كافتيريا مع بداية العام الحالي. يقول «وجدت أن مصلحة المطاعم هي التي تتماشى وسوق الفترة الحالية، وبعد مراقبة سوق العمل، وجدت أن مشروع (الكافيه) هو الخيار الأنسب». ويضيف «الكافيه مكان مريح لمن يود الاستراحة وتناول مشروب سريع أو أخذ نفس أركيلة». اختار لبيد صالة في حي الشعلان الدمشقي، بسبب مركزيّته وازدحامه. حرص على اختيار ألوان جاذبة للنظر، ومريحة، وانتقى اسماً أجنبيّاً «يتناغم مع كلمة كافيه»، و«طاقم عمل محترماً يبتسم دوماً للزبون. فاهم شيء أن يشعر الزبون بالراحة»، كما يقول. لبيد، واحدٌ من كثيرين باتوا يرون الاستثمار في هذا القطاع خياراً «مضموناً»، لأنه مشروع واضح المعالم، يمكن إطلاقه سريعاً، من دون معوقات وعراقيل، فضلاً عن سرعة إدراه الدخل للمستثمرين.

«نحن اليوم بحاجة إلى مهنة المردود اليومي أو الشهري. طبعاً هذا لمن يملك رأسمال صغيراً، أما أصحاب رؤوس الأموال الضخمة فلا مشكلة لديهم في المشاريع التي ترد أرباحها بعد سنوات»، يقول لبيد.

من أقدم «الاستثمارات»

يعود تاريخ هذه المهنة في دمشق إلى القرن السادس عشر، إذ افتُتح أول مقهى فيها عام 1530، وكان اسمه «قهوة خانة»، وتقول مصادر عديدة إنّه كان «أول مقهى في العالم». طرأت تغيرات شكلية كثيرة على المحال الحديثة، علاوة على حلول اسم «كافيه» محل اسم «قهوة»، أو «مقهى». أما العمل والخدمة فظلا يدوران في الفلك نفسه، ووفق النظام نفسه، من دون تطوّرات جوهرية. يعدّ مقهى الروضة، في شارع العابد، واحداً من أقدم المقاهي الشعبيّة في دمشق، افتُتح في العام 1938، ولم يتغير شكله كثيراً منذ ذلك الوقت. يقول أبو الحكم، وهو أحد أقدم العاملين في المقهى «أعمل هنا منذ منتصف السبعينيات. لحقت المكان تغييرات قليلة، مثل شكل السقوف والسيراميك الذي كسا جدران الجهة الشرقيّة من المقهى. كما استُحدث في زاويته الداخلية شلال، تمّت إزالته في ما بعد». ويضيف «مرتادو المكان تغيّروا أيضاً، وهذا أمر طبيعي بسبب الظروف التي اجتاحت البلد». يرى أبو الحكم أن إحدى أهم مزايا «الروضة» استقباله النساء كما الرجال «من جميع الأعمار، ومن المحجبات وغير المحجبات، هذا الأمر كان مألوفاً منذ إنشاء الروضة واستمر حتى اليوم».

«الكافيه» بديلاً

مع انحسار المساحات المناسبة لـ«السيران» في أحضان الطبيعة، باتت الكافتريات والمطاعم متنفّساً أساسياً لسكان العاصمة، لكنه مكلف وليس متاحاً للجميع. كانت نزهات الغوطة قد تناقصت منذ سنوات طويلة، بسبب الزحف العمراني الكبير، قبل أن تتحول ساحة للحرب. اليوم، لم تستعد جاذبيتها الكاملة للمتنزهين، بفعل أسباب كثيرة، أمنية ونفسيّة، وفقاً لشروحات عثمان، وهو ربّ أسرة مؤلّفة من خمسة أفراد. ويضيف «كذلك، لم يعد سهلاً أن تقصد مناطق الاصطياف المجاورة، الأمر بات مرهقاً، ومكلفاً، إضافة إلى أن الخدمة هناك لم تعدّ كما عهدتها في السابق». يؤكد عثمان أن «العاصمة لا تمتلك حدائق مؤهلة للارتياد، وإذا استثنينا حديقة تشرين، فسنجد أن لا حدائق يمكن التنزّه فيها». يتشابه معظم «كافتريات» دمشق، في كثير من التفاصيل الأساسية، وتكاد عوامل المفاضلة بينها تقتصر على الانطباعات الشخصيّة. يحدّ سليم، وهو شاب في الخامسة والعشرين، كافتريات «ساحة المطاعم» (حي أبو رمانة)، التي ترتادها وجوه معروفة من فنانين وغيرهم. يقول الشاب «ما

> ترتفع فواتير المطاعم و«الكافيهات» تبعاً لارتفاع الأسعار المطّرد في السوق

يميّزها بالنسبة إليّ، وبكلّ صراحة، أن وجوهاً معروفة من الفنانين ترتبط بتلك الأماكن وتزورها بشكل دوري». ويضيف «ليس الدافع تناول وجبة، أو شرب فنجان قهوة، بل التقاط صورة سيلفي، مع فنان أو فنانة، ثم نشرها على صفحتي في موقع إنستغرام».

«الفاتورة بعد إذنك»

يتحدث الخبير الاقتصادي هاني خوري عن مشكلة في هذا النمط من الاستثمارات، قوامها «الاستسهال، وتحويل رأس المال من فاعل وإيجابي، إلى منفعل في دورة استثمار تنذر بالخسارة». يشرح خوري بالقول «الاستسهال يتجلى في الذهاب برأس المال إلى مساحة عمل ليست ذات إنتاج حقيقي، ولا تحمل الديمومة المطلوبة لمشروع «استثمار، فضلاً عن منعكساتها السلبية على أسعار الكتل العقارية وارتفاعها». يشير خوري، وهو مدير «مؤسسة الرضا للتدريب والتطوير»، إلى أن هذا النوع من المشاريع «غالباً ما يصطدم أصحابه بالخسارة، ليتخلوا عنه بسرعة». ويضيف «أخطاء هذا النوع من الاستثمار كثيرة، إضافة إلى أن كثرة أعداد الكافتريات تشكل تزاحماً في ما بينها، لا سيما أن معظمها يتشابه، ولا تحمل واحدتها مقومات تختلف فعليّاً عن الأخريات». ترتفع فواتير المطاعم و«الكافيهات» تبعاً لارتفاع الأسعار المطّرد في السوق. رغم ذلك سنجد مرتادي «الكافيهات» في دمشق مواظبين على عاداتهم. وجد البعض حلاً للتكلفة المالية، يعتمد على التشارك في الدفع، بهدف «الحفاظ على لقاء الأصحاب»، وهذا ما تشير إليه فاتن. تقول الفتاة العشرينية «كل شخص يدفع عن نفسه، ويطلب على قدر ما يملك من المال. هذه مسألة مريحة، فالوضع بات صعباً لدى معظم الناس».

لقطة

في دمشق: حدائق لـ VIP... وأخرى للأشباح!

محمود عبد اللطيف

يحمل أبو الفوز، حافظتَي الماء الساخن والبارد، مع حقيبة مملوءة بما تيسّر من ظروف، المشروبات الساخنة والبسكويت. ليطوف في أرجاء حديقة تشرين، في العاصمة دمشق، بحثاً عن زبائنه الذين غالباً ما يكونون من العشاق، فالأسر التي تأتي إلى الحديقة تحمل معها ما تحتاج من طعام وشراب. يحكي أبو الفوز لـ«الأخبار» بعض ظروف عمله، ويشرح أن «المردود يصبح أقلّ خلال فصل الشتاء لسببين: الأول يتعلق بالطقس، والثاني بالتقنين الكهربائي، الذي يحوّل الحديقة الأكبر في العاصمة إلى مدينة للأشباح بفعل الظلام الدامس الذي يكسوها». في الوقت نفسه، «الظلام قد يكون مناسباً لبعض من يرتاد الحديقة للبحث عن لحظات رومانسية، أو أفعال منافية للحشمة». وفق تعبير أبو الفوز، الذي يؤكّد أنه «يحترم رغبات زبائنه بالخصوصية التي لا يحصلون عليها في أي مكان آخر من العاصمة». الرجل الستيني الذي يجد في حمل بضاعته والتجوال بها، بحثاً عن زبون هنا أو هناك، يخشى من تمدّد الاستثمارات في مساحة عمله. ويصف الجزء الشمالي من الحديقة بـ «حديقة الأمراء»، في إشارة منه إلى أنها باتت محسوبة على أبناء الطبقة المخملية من المجتمع الدمشقي، وذلك بعد افتتاح مطعم وناٍ رياضي، من عيار الـ«خمس نجوم» فيه.

ويضيف: «لم أعد أقترب من ذلك الجزء من الحديقة، فالبسطاء يبتعدون عنه وكأنه بات ممنوعاً عليهم، من دون أن يفرض ذلك أحد». يسترسل الرجل في كلام، يُفهم منه أن الأمر الواقع قسّم الحديقة بين الطبقتين.

لا يجد أبو الفوز، ومن يعمل في مهنته من بائعي المشروبات والبسكويت مكاناً أفضل من حديقة تشرين، فحديقة الجاحظ تعدّ من طبقة الـ VIP، وعادة ما يصطف أمام أبوابها عدد من سيارات بيع الإسبريسو، فضلاً عن الأكشاك التي تؤمّن لزائري الحديقة التي تتوسّط حي أبو رمانة، جميع ما يحتاجون، من أفخم الماركات، وبأبهظ الأسعار. ماذا عن حدائق حي المزة؟ نسأل أبو الفوز، فيجيب إن «المحافظة تمهّد لتحويلها إلى كتل من الاستثمارات»، ويضيف «الفقير لم يعد له مكان في العاصمة».

نتجول مع أبو الفوز، ونعاين أكوام التراب المكدسة وكأنها «سواتر حربية»، في الطرف الشرقي من «حديقة الطلائع»، الواقعة بالقرب من «القصر العدلي»، على أوتستراد المزة. تكتسي الحديقة بالعتم طيلة أيام السنة (سواء بوجود التقنين أو عدمه)، ما يجعل غالبية الأسر تتجنب دخولها خشية مما يكون مستوراً في الظلام. ومن الطرافة المبكية، أن تتقاسم وأبو الفوز، فنجان قهوة ونظرةً بلهاء إلى سيارات المحافظة، وقد دخلت الحديقة لترمي مخلفات عملية تقليم الأشجار على الأوتستراد. في منطقة «الفيلات المتصلة»، يمر المرء بعدد من الحدائق الصغيرة، التي تشكل مساحات فصل بين المباني في الشوارع الداخلية. يشير انعدام وجود أعمدة الإنارة إلى إهمال كبير لهذه الحدائق، وتكمل الأمر عتمة شديدة في الأزقة الضيقة الواصلة بين هذه الحدائق والأبنية. أما «حديقة الجلاء»، التي تعدّ جزءاً من «مدينة الجلاء الرياضية»، فتتحول تدريجياً نحو الاستثمارات الخاصة بـ«الاتحاد الرياضي». ويبدو أن أي مساحة خضراء، في هذه المدينة وإن صغرت فإنّها تثير شهيةَ الاستثمار.

«صفصاف الخابور» تحيي «المنقلة»

أيهم مرعي

يركّز رمضان العلي، تفكيره مع خصمه، أثناء خوضه مباراة في لعبة «المنقلة». أقيمت المباراة في صالة المركز الثقافي في مدينة الحسكة، ضمن نهائي بطولة أحياء المدينة للّعبة الشعبية، بتنظيم من «جمعية صفصاف الخابور الثقافية». برغم التركيز العالي، يفشل رمضان في تسجيل أي نقطة ضد خصمه، بعد مرور أكثر من ساعة على بداية المباراة، ما يعكس خبرة عالية لدى الخصمين. يقول رمضان لـ«الأخبار» إنّ «عدم وجود تكافؤ بين الخصمين، يُفقد اللعبة متعتها». ويضيف «اللعبة لا تحتمل الخطأ؛ أي غلط سيعني الخسارة إذا كان خصمك قوياً». على الطاولة المجاورة لطاولة رمضان، ينجح الشاب معد العلي (21 عاماً)، في إنهاء مباراته مع خصمه الذي يكبره بسنوات عديدة. يقول الشاب: «تعلّم اللعبة كانت شيئاً مهماً لي، لأنها تشكل حالة من الحفاظ على موروث الآباء والأجداد». ويوضح أنه تعلم اللعبة من والده، واكتشف أنها «مسليّة ومفيدة، وتدرّب الذهن على عمليات حسابية صعبة». يحث معد أقرانه من جيل الشباب على «تعلم اللعبة، والابتعاد عن الألعاب ذات الطابع التكنولوجي، التي لا فائدة منها». تعدّ لعبة «المنقلة» من أقدم الألعاب اللوحية، التي تعتمد على العمليات الحسابية، وتحتاج إلى ذكاء لا يقل عن الذكاء المطلوب في لعبة الشطرنج. تدور اللعبة على لوح خشبي يحوي 14 حفرة، لكل لاعب سبع حفر. يتم توزيع 49 حصاة لكل لاعب، توضع في كل حفرة سبع منها، ويفوز اللاعب الذي يربح العدد الأكبر من الحصى. ورغم الانتشار الكثيف لألعاب الموبايل والكومبيوتر، فإن القائمين على جمعية صفصاف الخابور، اكتشفوا استمرار الحضور الشعبي اللافت للعبة ذات الطابع التراثي، بعد الإعلان عن البطولة. وارتبطت هذه اللعبة في منطقة الجزيرة السورية، بقصص تراثية، يمثل أحد أبطالها الفارس عبد الله الفاضل، الذي تخلت عنه قبيلته بعد أن أصيب بمرض الجدري، فغادرها، ليعمل في صب القهوة في مجلس الأمير العثماني تمر باش. وبحسب الروايات الشعبية فإن الأمير تمر باش كان من هواة اللعبة، وكان مستعداً لدفع أي ثمن، في حال تمكن خصمه من غلبه. عندما غلبه الفاضل، طلب الزواج بابنته، لكن تمر باش رفض ذلك، بسبب عدم التكافؤ الاجتماعي. ويردّد سكان المنطقة أبيات شعر حتى الآن، يقال إن الفاضل وجهها لتمر باش، بعد الواقعة، يقول فيها: «هَلي عز النزيل وعز من كال، ثكال الروز ما هم حجر منكال. إن كان الناس مي هظل من كال، هلي نيسان طم العاليات». يقول الباحث أحمد الحسين، رئيس الجمعية المنظمة لـ«الأخبار» إن «الجمعية حرصت على وجود تفاوت بين أعمار المتنافسين، بهدف نقل الخبرة وتحقيق رسالة التواصل بين الأجيال». ويحدد هدف البطولة بـ«حفظ التراث والذاكرة الشعبية، في وجه العولمة».

بريد دمشق

مجرور بالكسرة

بديع صنيج

لطالما تمنّيت من حكومتنا العتيدة أن تشتغل وفق المنهج البريختي، تكسر الجدار الرابع بيننا وبينها، وتمزّق ستار الخداع الاجتماعي، لنصبح شركاء في صناعة المشهد، ويُصبح كل منّا بطلاً بدوره. لكنها على ما يبدو، كانت وما زالت تُفضّل أسلوبية «أنتونان أرتو» في مسرح القسوة، بكل ما يعنيه ذلك من رفض الواقع والتمرُّد عليه بطريقة أقرب إلى السوريالية. لكن من دون أن يكون ذلك لصالحنا، بل في أغلب الأحيان لصالحها هي. فجُلّ ما تفعله ينصبّ على «تكسير عظم» المواطن، لا سيما على الصعيد المعيشي، إذ تتركه يلهث وراء كسرة الخبز إلى الدرجة التي «يشهق فيها وما يلحق»، وكلّما تفنّنَت في تعذيبه، واستمرّت تكثيف مأساته وتراجيدياته اليومية «يكسر على أنفه بصلة»، لما في ذلك من قدرات إنعاشية. لكن، حتى هذه باتت صعبة عليه نوعاً ما، بعدما بات سعر الكيلو الواحد من البصل 350 ليرة، إلى درجة أنه إن جازف وفعلها، ثم كسر فوقها «كَمْ بيضة»، وفَرَمَ معهم بندورتين، فإنه سيصبح في عداد المُبَذّرين «الحظ مظْبَيْن»، والمنضوين تحت شعار «فخّار يكسِّر بعضه»، وهذا في عُرْفِ الحكومة من الخطوط الحمر، ومن أكثر المُحرَّمات حُرمةً على المواطن السوري. فكل شيء «بمنع» له بالقطارة، وبمعايير شديدة الصرامة، ووفقاً لدراسات دقيقة يقوم بها عُتاةُ المحللين الاقتصاديين، وخبراء إدارة الأزمات المستفحلة، بناءً على رؤية «تكاملية». لم تخطر في بال أكثر دُهاة علم التكامل والتفاضل دهاءً، وميزتها الأبرز أنها مهما كسرت خاطر أفراد هذا الشعب، إلا أنها تُفاجِر وتَعتَدّ بأنه لا يزال حيّاً على الأقل. ما لم تستطعْ «الحرب العالمية الثالثة» التي أنهكت هذا المواطن طيلة السنوات التسع الماضية، ستقوم به الحكومة ببضعة أشهر، ولن يكون آخر إبداعاتها دور الغاز الذي يتزايد وفق تطبيق الـWay-in الخاص بالبطاقة الإلكترونية. بطاقتنا التي كشّرَت الدنيا بذكائها، ولم يُعرَف عن ذاك الذكاء إلا الإمعان في إذلال المواطن من أجل 200 غرام شاي مع كيلو سكّر للفرد الواحد شهرياً، ثم تركيب «عدّاد مُعطّل» للحلم باقتناء جرّة غاز زرقاء بهيّة الطلعة. وللأسف، وفق جميع المؤشرات والتقديرات التي لا تحتاج إلى ذكاءٍ كبير، فإن القادم أخطر، وأردأ، وأسوأ، وأكثر تسلُّطاً وقسوة، لأنه سيتضمن الكثير الكثير من القرارات «المدروسة» وفق التصريحات الحكومية، مهما بلغت درجة «ارتجاليتها» البادية للعيان، وليس آخرها تعديل أوقات عمل الأفران من الواحدة ليلاً حتى الخامسة صباحاً، «من أجل التقليل من سرقة الطحين». والحبل على الجرّار، ليبقى المواطن المسكين مجروراً بالكسرة الدائمة، من أول يومه إلى آخره أو آخرته، لا فرق، مهما اختلفت الحسابات الحكومية، خاصةً أنه لن يستطيع أن يكون «فرداً بطلاً»، بحسب «أرتو» السابق الذكر، لأن أقصى ما يستطيعه للشعور ببعض «الحرية»، والقدرة على كسر جليد يومياته البائسة والمؤلمة والباردة، هو تشغيل «كاسر بروكسي» على جهاز هاتفه الخلوي، والتنعُّم ببعض سرعةٍ إضافية في رسائل الـ«واتس آب»، والمسنجر، أو فتح بعض المواقع التي تكسر الظهر هي الأخرى، لحظة، كان هذا ممكناً حتى وقت قريب، لكنّه بات في حاجة إلى تفكير وحسابات، بعد أن أكرمتنا الحكومة بنعمة «باقات الإنترنت» التي تحول بين المواطن وبين استخدام الإنترنت بكثرة، وتبيحه مقنّناً، بحسرة وكسرة.

العراق

«حفلة الجنون» الأميركية: نحو تبديل قواعد الاشتباك؟

الردّ الأميركي السريع على الهجوم الصاروخي الذي استهدف «التاجي» لا يبشّر بالخير. «حفلة من الجنون»، وكسر لقواعد الاشتباك، وتأكيد أن واشنطن «محت» الخطوط الحمراء. وأنها باتت في مواجهة العراق دولة وشعباً... كل ذلك يعزّز فرضيّات التصعيد في الأيام المقبلة

نور أيوب

الردّ الأميركي على الهجوم الصاروخي الذي استهدف «معسكر التاجي» (45 كلم شمال العاصمة بغداد) كان أشبه بـ«حفلة جنون» تعكس إفلاساً ضارباً في مقاربة الإدارة الأميركية للأزمة المستفحلة مع الأحزاب والقوى السياسية العراقية، والمتعلّقة بانتشار قواتها على طول بلاد الرافدين. قيادة «العمليّات المشتركة» العراقية أكّدت في بيان أمس، تعرّض البلاد إلى «اعتداء سافر» من طائرات أميركية مقاتلة استهدفت قطعات الجيش العراقي (مغاوير الفرقة 19) ومقر اللواء 46 في «الحشد الشعبي»، وفوج شرطة بابل الثالث، ومطار كربلاء (قيد الإنشاء، ويقع على الطريق الرابط بين كربلاء والنجف)، ما أسفر عن استشهاد خمسة جنود ومدني، وجرح عدد آخر.

هو ردّ «مجنون» بتوصيف مصادر أمنية رفيعة، لأنه يكسر «قواعد الاشتباك» المعمول بها منذ سنوات، والقاضية بـ«تحييد» مؤسسات الدولة ومنشآتها في سياق المواجهة بين فصائل المقاومة وقوّات الاحتلال. مصادر سياسية مطّلعة قالت لـ«الأخبار» إن الهجوم الأخير «يعكس إفلاس الإدارة الأميركية، ورفضها التزام القرار السيادي العراقي الداعي إلى انسحاب القوات الأجنبية وفق جدول زمني يُتفق عليه بين الجانبين... وأشنطن ترجمت عجزها عن تحديد عدوّها من صديقها». وعليه، فضّل الجيش الأميركي العسكرية اعتبار كل

> **حمل بيان «المشتركة» والرئاسات الثلاث لهجة حادّة ضد الاحتلال الاميركي**

اسفر الهجوم الاميركي عن استشهاد 5 جنود ومدني وجرح عدد اخر (أ ف ب)

نقطة في البلاد هدفاً يمكن استهدافه. هذا «الجنون» من شأنه، وفق المصادر، أن «يعقّد الأزمة أكثر، ويشرّع الأبواب أمام تصعيد مرفوض (حالياً) من الحكومة الاتحادية، والمؤثرين في القرار السياسي».

بيان «المشتركة» حمل لهجة حادّة ضد الجانب الأميركي كلهجته ضد «المجموعات» التي استهدفت «التاجي»، إذ وصف ما جرى «انتهاكاً لمبدأ الشراكة والتحالف بين القوات الأمنية العراقية، والجهات التي خطّطت ونفّذت الهجوم الغادر»، كما رأى أن الحديث عن كون «الهجوم رداً على العمل العدواني الذي استهدف التاجي ذريعة واهية تقود إلى التصعيد ولا تقدّم حلاً للسيطرة على الأوضاع». في هذا الإطار، تساءل البيان عن المبرّر الأميركي لاستهداف المنشآت الحكومية، العسكرية والمدنية، في ظلّ التوصيف الأميركي للضربات الجوية بـ«الناجحة»، والإعراب عن الرضى بـ«حجم الأضرار التي خلّفتها».

في غضون ذلك، تتساءل المصادر عن سبب الاستهداف المتكرّر لمقارّ «الحشد» الذي يُعدّ جزءاً من المؤسسة الأمنية ـ العسكرية، وملتزماً قرار الدولة العراقية، فـ«المواجهة» بالمنظور الأميركي ضد الفصائل، وليس «الحشد»، وعجز واشنطن عن مواجهتها يدفع بها إلى استهداف «الحشد» في ظاهرة متكرّرة. أما التصعيد الخطير، فكان استهداف مقارّ الجيش والشرطة الاتحاديّة، التي «تواطأت» مع المنفذين المدانين لضربة «التاجي»، كما ينقل مطّلعون على مناخات السفارة الأميركية. لكن المصادر السياسة تعلّق على الإعلان الأميركي «إبقاء حاملتي طائرات في المنطقة (للمرّة الأولى منذ 2012) للردع على التهديد، المتمثّل في الأسلحة المتطوّرة التي قدّمتها إيران»، بالقول: «الجانب الأميركي بات عاجزاً جدّاً» منذ اغتياله نائب رئيس «هيئة الحشد» أبو مهدي المهندس، وقائد «قوّة القدس» في «الحرس الثوري» الإيراني قاسم سليماني، ورفاقهما، في محيط مطار بغداد الدولي، مطلع العام الجاري، كما أنها رأت تصعيده الأخير قائماً على «حجج واهية».

بالعودة إلى بيان «المشتركة»، وبيان الرئاسات الثلاث والأحزاب والقوى السياسية، يُسجّل التنديد والاستنكار المصاحب بلهجة حادّة، ووصف ما جرى بأنه «تصرّف خارج عن إرادة الدولة العراقية، واعتداء على سيادتها، ويقوّي التوجهات الخارجة عن القانون... فلا يحق لأي طرف أن يضع نفسه بديلاً عن الدولة وسيادتها وقراراتها الشرعية». هذه اللغة استُتبعت بتسليم الخارجية العراقية السفير الأميركي لدى بغداد، ماثيو تولر، مُذكّرة احتجاج، وتبليغه بأن الحكومة سترفع شكوى إلى مجلس الأمن الدولي، وأخرى إلى الأمين العام للأمم المتحدة، بشأن الاعتداء على مقارّ الجيش والشرطة و«الحشد». لكن السؤال يبقى، وفق أكثر من مصدر، أمام هذا الحراك الدبلوماسي، عن مآلات المفاوضات مع الجانب الأميركي الداعية لانسحابه، وهذا ما سيترجم «الحرص» الحقيقي على السيادة الوطنية وبثبتها فعلاً لا قولاً أو بياناً.

فلسطين

مرّت تسعة أعوام على طلب «حماس» من تركيا افتتاح مستشفى في غزة، لينتهي الملف إلى يد رام الله التي ترى أن افتتاح «الصداقة» برعايتها هو ردٌّ على المستشفى الأميركي الميداني الذي لم ينسق معها بشأنه. مع أن المستشفى التركي صار جزءاً من المماحكة السياسية، فإنه يسلط الضوء على حقيقة المساعدات التركية

افتتاح «مستشفى الصداقة» قريباً... برعاية رام الله!

«فقاعة المساعدات» التركية لغزة

غزة ــ مادلين الحلبي

لا يزال الموعد الدقيق لافتتاح «مستشفى الصداقة التركي الفلسطيني» في قطاع غزة غير معلوم رغم كثرة التصريحات الرسمية عن قرب ذلك، وآخرها حديث المدير العام للمستشفيات في غزة، عبد السلام صبّاح، في الثالث من الشهر الجاري، عن أنه من المتوقّع بدء العمل قريباً بعد اعتماد الموازنة التشغيلية للمستشفى في البرلمان التركي. لكن تصريح صبّاح ليس الوحيد، بل يأتي بعد وعود كثيرة بافتتاح المستشفى بدأت منذ عام 2017 عبر الصفحة الرسمية لـ«الصداقة»، في منشور جاء فيه أنه تم الانتهاء من تجهيز المبنى بانتظار الانتهاء من مرحلة التأثيث ثم التشغيل. كما صدر عن رئيس الوزراء الفلسطيني، محمد اشتية، حديث في التاسع من كانون الأول/ ديسمبر الماضي بالمضمون نفسه، وكذلك وزيرة الصحة في رام الله، مي كيلة، التي قالت في السادس عشر من الشهر نفسه إن التشغيل سيكون مطلع هذا العام، 2020.

بدأت حكاية «الصداقة» في عام 2011 بعدما تقدّم وفد من «الجامعة الإسلامية» برئاسة أمين مجلس أمنائها آنذاك، جمال ناجي الخضري، بطلب إلى رئيس الوزراء التركي آنذاك، رجب طيب إردوغان، بتمويل مستشفى جامعي. وافق إردوغان (صار رئيساً بعد 2014) مقترحاً على الوفد تطبيق نموذج عن مستشفى جامعي من العاصمة أنقرة في غزة. مع أن الطلب جاء من «الإسلامية»، التابعة لحركة «حماس»، فإن الاتفاق رسمياً تم في عام 2014، مع وزير الصحة في السلطة الفلسطينية آنذاك، جواد عواد. ورغم تبنّي الجامعة مشروع المستشفى كإنجاز يحسب لها، فإن الترتيبات الخاصة به ظلت طي

> **تأخر افتتاح المستشفى بسبب تقلّب العلاقة بين السلطة و«حماس» وتركيا**

الكتمان من جانب الحكومة التركية، قبل أن يتضح للجميع أن الأخيرة وضعت المشروع بيد السلطة عبر اتفاق بين وزيري الصحة. حاولنا الحصول على تعقيب رسمي من «الإسلامية» و«الصحة» الفلسطينية، لكننا لم نتلقّ أي رد.

تكشف مصادر مطلعة على الملف أن إدارة «الإسلامية» هي من توكل بالموضوع في بدايته، بل اختارت فعلاً نموذج المستشفى في تركيا، وكذلك موقعه في منطقة الزهراء وسط القطاع، بمساحة 34 ألفاً و800 متر، مستدركة: «ظل تشغيل المستشفى عالقاً لثلاث سنوات (2011 ـ 2014) بسبب الحاجة إلى تصويت البرلمان التركي على منح 42 مليون دولار للمشروع، لأن البرلمان هو المخول الموافقة على المنح الخارجية»، ثم جاءت الصدمة بأن التنسيق يجري مع رام الله. ربما يكون هذا غريباً على من لا يعرفون طبيعة العلاقة بين «حماس»، أو «حكومة غزة» السابقة، وبين أنقرة. فرغم «الارتباط المعنوي» الكبير، خاصة بين القاعدة الشعبية للحركة، وبين حزب «العدالة والتنمية» في تركيا، فإن ذلك لا ينعكس بصورة مثالية في عالم السياسة عندما يتعلق الأمر بالسلوك التركي، إذ أن قائمة الاتفاقات التي وقّعتها تركيا مع السلطة تساوي حجم الرفض التركي لمشاريع طلبت «حماس» تمويلها. بل إنه في أيلول/سبتمبر 2018 تم الاتفاق بين رام الله وأنقرة على التنسيق في المجالات كافة بين الحكومتين بما يشمل المساعدات الإنسانية. وسبق ذلك، في أيار/مايو 2017، توقيع رئيس الوزراء الفلسطيني السابق، رامي الحمدالله، على بروتوكول ينص على ألا «ينفذ الدعم التركي الرسمي للفلسطينيين إلا عبر المؤسسات الرسمية الفلسطينية» (راجع «الأخبار»: رام الله تصطاد في المياه العكرة: علاقة «حماس» بتركيا في أسوأ أحوالها!، 14 كانون الأول 2018).

على مدى حصار غزة (منذ 2007)، سعى إردوغان إلى تعزيز الدعاية التي تظهره وتركيا كمصدر مهم لدعم الفلسطينيين، والغزيين على وجه التحديد، ثم زاد ذلك بعد «مجزرة مرمرة» (201) حين استشهد تسعة معظمهم من الأتراك الذين أتوا لـ«كسر الحصار». ساهمت هذه الحادثة، وما تلاها من أزمة سياسية (ظاهرية) مع إسرائيل، في صعود نجم إردوغان في السياق الفلسطيني، رغم إنكار الأخير في النهاية صلة دولته بالأسطول، إلى حين أن عادت العلاقات التركية ـ الإسرائيلية إلى سابق عهدها، علماً أنها بقيت على حالها في الشانين الاقتصادي والأمني. بالتوازي، كان النشاط التركي في الدعم المقدم إلى الفلسطينيين ضئيلاً، ومن الأمثلة حجم المساهمة في ملف الإعمار، إذ أنه بعد حرب 2014 ساهمت أنقرة في «مشروع جسر الديك» ببناء ثلاث بنايات من أصل 320 وحدة سكنية في تلك المنطقة الواقعة شرقي القطاع، بما لا يتعدى مبلغ مليوني دولار. بل إن مصدراً مطلعاً على ملف الإعمار يكشف أن هذا المبلغ كان «تبرعاً مقدّماً من الشعب التركي بعيداً من الدولة»، مشيراً إلى مشروع رسمي آخر هو «مسكن ريم» المخصّص لـ1200 شخص في غزة، لكن ما دفعته الدولة التركية كان تكلفته الإجمالية ثمانية ملايين، أي ما يلبي حاجة 250 مستفيداً فقط. أما مساهمة «الهلال الأحمر التركي» بعد حرب 2014، فتمثلت في 104 آلاف دولار فقط.

هذه المساهمات ضئيلة مقارنة بحجم الأضرار أو حجم المساعدات من الدول الأخرى، لكن الأهم أنها ضئيلة جداً أمام المواقف التركية إعلامياً أو قبالة ما يتحدث عنه إردوغان، خاصة أنه سبق أن رفع السقف في شروط العلاقة بإسرائيل عندما أعلن أن بلاده لن تعيد العلاقات مع الاحتلال بعد «مرمرة» إلا بإنهاء الحصار تدريجياً عن القطاع، عبر السماح بتوريد وتصدير البضائع من غزة، وفتح خط بحري منها إلى قبرص التركية، وهو ما لم يحدث. بعد تحسن العلاقات بين أنقرة وتل أبيب، شهدت العلاقة بين الأخيرة و«حماس» ضبطاً لحجمها، بل طلبت الأخيرة من القيادي في الحركة (نائب مكتبها السياسي الحالي) صالح العاروري، مغادرة الأراضي التركية، في ضوء الاتهامات الإسرائيلية بعلاقته بقتل المستوطنين الثلاثة في الخليل عام 2014، ومحاولته تأسيس بنية تحتية عسكرية للحركة في الضفة المحتلة، ليذهب إلى الدوحة قبل أن تستقر به الحال في بيروت.

لكن الأزمة الكبرى في العلاقة جاءت بعد التنسيق بين «حماس» والقيادي المفصول من «فتح» محمد دحلان، المتهم من النظام التركي بتمرير سياسات النظام الإماراتي المعادي لإردوغان ولا سيما في قضية الانقلاب ضد الأخير (2017)، ليبدأ بعد ذلك عهد التقليص الكبير في المساعدات الضئيلة أصلاً. مع ذلك، تحرص «حماس» بشدة على استمرار العلاقة، وهو ما حاول رئيس مكتبها السياسي، إسماعيل هنية، تعزيزه خلال زيارته الأخيرة ولقائه إردوغان، لكن هذا لم ينعكس على أي ملف بعد، بل إن قضية «مستشفى الصداقة» تظهر العكس، خاصة أن رام الله هي المشغل له. حتى إن وكالة «الأناضول» التركية نقلت عن رئيس الوزراء، اشتية، قوله، إن «الحكومة ستعمل على تشغيل الصداقة... رداً على المستشفى الأميركي (الميداني)».

هكذا، وضعت السلطة المستشفى التركي كردّ على موافقة «حماس» على إنشاء مستشفى برعاية مؤسسة أميركية من دون أن تنسق الأخيرة مع رام الله. وأضاف اشتية: «سيكون ردنا على المستشفى الذي أداره الجيش الأميركي في سوريا، ونُقل إلى غزة، هو تشغيل المستشفى الممول من تركيا... نحن في المراحل الأخيرة للاتفاق مع الأصدقاء في تركيا لتغطية المصاريف التشغيلية للمستشفى الذي هو جاهز للعمل فوراً»، وهو ما ردت عليه «حماس» بالقول إن هذه التصريحات «تؤكد أن السلطة هي الجهة المعطلة لافتتاح المستشفى التركي بعد استلامه عام 2017 كجزء من خطتها (حماس) صحياً». إلى ذلك، تنقل المصادر أن «الصداقة» سيضم «أجهزة متطوّرة وتخصصات مختلفة، ولديه سعة 200 سرير تقريباً، لكنه لن يضم أجنحة لعلاج الأمراض الخطيرة كالسرطان والقلب والكبد».

من حملة لتعقيم مساجد ومرافق عامة في غزة كإجراء احترازي من كورونا (الأناضول)

سوريا

(الأناضول)

وزير الدفاع البريطاني في جولة على الحدود

زار وزير الدفاع البريطاني، بن والاس، برعاية نظيره التركي، خلوصي أكار، الشريط الحدودي بين تركيا وسوريا، حيث وقّع على دفتر الزيارات في مخفر حدودي في ولاية هطاي التركية، ليصعد مع أكار إلى برج المراقبة ويراقبا «مخيم أطمة» للنازحين من الجانب السوري. وقال والاس إنه اجتمع مع أكار والمنسّق الإقليمي للشؤون الإنسانية للأزمة السورية في الأمم المتحدة، كيفن كينيدي، مضيفاً: «الزيارة شكّلت فرصة لرؤية الأوضاع المأساوية في المنطقة عن قرب». وفق بيان تركي. وذكر الوزير البريطاني أن بلاده «اتخذت موقفاً داعماً لعملية تركيا العسكرية في إدلب، على صعيدي مجلس الأمن الدولي، وحلف شمال الأطلسي، من أجل إيقاف الاشتباكات بالمنطقة». تأتي هذه الزيارة بالتزامن مع اتفاق مسؤولين أتراك وروس أمس على البدء، في تسيير دوريات مشتركة في إدلب خلال عطلة نهاية الأسبوع، كما أفاد أكار الذي قال: «سنرى أول تطبيق لهذا بتسيير دوريات مشتركة في 15 مارس (آذار) على طول الطريق السريع M4»، مضيفاً: «تم إنشاء مراكز تنسيق مشتركة مع روسيا لإدارة الجهود بشكل مشترك... تركيا ترغب في أن يكون وقف إطلاق النار دائماً».

بالتزامن، شددت الدفاع التركية على أن «نقاط المراقبة في إدلب تواصل مهامها... سحب الأسلحة الثقيلة منها غير وارد»، مضيفة أن المباحثات مع الروس تتواصل بخصوص الممر الآمن على مسافة 6 كلم شمال M4 و6 كلم جنوبه.

(الأخبار)

تقرير

تمرّ علاقة المغرب والإمارات بأزمة غير مسبوقة. فرغم إصرار الطرفين على «الحفاظ على الودّ»، حتى إن أتى تكلّفاً، فإن الأخبار المتسلّلة من بين صناع القرار تقول إن شيئاً ما ليس على ما يُرام. بل إن الأزمة وصلت فعلاً إلى مفترق طرق

زار محمد السادس بصورة غير رسمية ولي عهد ابو ظبي، محمد بن زايد، الشهر الماضي، في مقرّ إقامة الاخير في الرباط (من الويب)

المغرب والإمارات: الأزمة الخفيّة تنفجر

وأيضاً... اليمن وليبيا

ازداد شرخ الأزمة الحالية ليصل «التحالف العربي» في اليمن، وقد بدأت بوادر الخلاف منذ أيّد المغرب مبادرة الحل السياسي التي طرحها مبعوث الأمم المتحدة إلى اليمن آنذاك، جمال بن عمر، التي رفضتها الإمارات وحلفاؤها. وفي كانون الثاني/يناير 2019، خرج وزير الخارجية المغربي، ناصر بوريطة، ليُعلّق للمرة الأولى على موقفه من التحالف في اليمن، فقال في حوار مع «الجزيرة»، إن «المغرب أعاد تقييم مشاركته في التحالف الذي تقوده السعودية في اليمن انطلاقاً من التطورات على أرض الواقع، بسبب انتهاكات حقوق الإنسان، وأيضاً بسبب التطوّر في الجوانب السياسية والإنسانية، وانطلاقاً من كيفية التهيئة للاجتماعات، وأيضاً انطلاقاً من قناعاته». كما أعلن بوريطة أن المغرب لن يشارك في المناورات العسكرية، في إشارة إلى «مناورات الموج الأحمر» التي دعت إليها دول التحالف، من بينها الإمارات، كما أنه لن يُشارك في بعض الاجتماعات الوزارية أيضاً. «لكن ثوابت الموقف المغربي تظل هي دعم الشرعية في اليمن ودعم المبادرة الخليجية» لحل الأزمة. لم تكُن اليمن وحدها السبب في فتور العلاقة، فتدخّل الإمارات في الصراع في ليبيا كان له دور كبير، خاصة أن المغرب احتضن المشاورات الليبية في الصخيرات، التي خلصت إلى اتفاق على قيادة حكومة فايز السراج البلاد بقرار أممي، في حين اختارت أبو ظبي دعم قوات اللواء خليفة حفتر.

الرباط ـ رجاء غريب

تُحاول كل من الرباط وأبو ظبي إنكار أزمة في العلاقات بينهما مع أن كل المؤشرات تقول العكس. ووفق موقعي «مغرب انتلجنس» و«الزنقة 20» المقرّبين من السلطة، قرّر المغرب سحب سفيره في الإمارات، محمد آيت وعلي، منذ الأسبوع الماضي، بعدما ظل في منصبه أكثر من تسع سنوات، كما استدعى القنصلان المغربيان في دبي وأبو ظبي. مقاطعة قطر، التحالف العربي في اليمن، الصراع الداخلي الليبي، أزمة السفراء، إضافة إلى مسايرة «الربيع العربي»... عوامل أدّت جميعها إلى فتور العلاقات الدافئة بين أبناء زايد والمملكة التي تُحاول الحفاظ على استقلال سياستها الخارجية في عدد من قضايا الشرق الأوسط.

شغور في السفارات

تعامل المغرب مع الأزمة الإماراتية ببلوماسية قادها وزير خارجيته ناصر بوريطة، الذي صرّح في ندوة إعلامية، وعلى نحو غير مسبوق، بأن «التنسيق مع دول الخليج، وخاصة السعودية والإمارات المتحدة، يجب أن تكون وفق رغبة من الجانبين، وكذلك الحفاظ عليها، وأن تكون متقاسمة، وإلا يجب البحث عن بدائل». حاولت الرباط احتواء الأزمة، فأعادت سفيرها لدى أبو ظبي بعدما سحبته قبل سنة تقريباً، ثم أرسلت بوريطة حاملاً «رسائل ودّ» من الملك محمد السادس إلى عدد من دول الخليج، بينها الإمارات، لكن من دون أن تُحدد الرسالة نيران الأزمة بين البلدين، خاصة أن الإمارات حتى الساعة لم تُعيّن سفيراً لدى الرباط منذ سنة. ورغم الأخبار التي تؤكّد وجود الأزمة، زار محمد السادس بصورة غير رسمية ولي عهد أبو ظبي، محمد بن زايد، الشهر الماضي، في مقرّ إقامة الأخير في الرباط، عقب مشاركته في «مؤتمر برلين» حول الأوضاع في ليبيا، وذلك كما أعلنت وسائل إعلام إماراتية.

> بينما استقبلت ابو ظبي الملك استقبالاً فاترا كان الوضع مغايراً في الدوحة

بحثا مع ولي العهد محمد بن سلمان «مختلف القضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك»، كما زارا قطر، حيث التقيا الأمير تميم بن حمد، وعبّرا له عن نيّة المملكة مساعدة الدوحة في تنظيم «كأس العالم» المقبل، في حين أن هذه الجولة استثنت الإمارات. أيام قليلة بعدها وأعلنت وسائل إعلام مغربية مقرّبة من السلطة أن الرباط أفرغت سفارتها في أبو ظبي من جميع المستشارين والقائم بالأعمال، ما قلّل تمثيلها الدبلوماسي على نحو كبير، كما أنها سحبت سفيرها واستدعت القنصلين. مع ذلك، لم تلقَ هذه الأخبار التي تمّ تداولها على وسائل الإعلام تعليقاً رسمياً بعد. فحتى أمس، لم يُعلّق المغرب على خبر سحب سفيره، رغم أن المجلس الحكومي عُقد الخميس الماضي، وكان من المتوقع أن يُعلّق المتحدث باسم الحكومة على الأخبار.

الحياد من «الرباعي»

لم تكُن العلاقة بين الإمارات والمغرب تسّم بأي فتور يُذكر. فالأخير اختار عبر تاريخه نعت الإمارات وحكامها بـ«الأشقاء»، كما أن العلاقة بين آل نهيان والعلويين كانت مثالية. والمملكة اختارت أن تُحافظ على علاقتها مع دولة لها وزن في منطقة الخليج، ولذلك انحنت لأزمات كادت تعصف بـ«الإخوة». بدأت الأزمة منذ إعلان الرباعي (السعودية والإمارات والبحرين ومصر) مقاطعة قطر، فالتزم المغرب الحياد وحافظ على علاقته بالطرفين، وأصدر بياناً يقول فيه إن «المملكة المغربية، التي تربطها علاقات قوية بدول الخليج في المجالات كافة، رغم أنها بعيدة عنها جغرافياً، تشعر بأنها معنية، بشكل وثيق، بهذه الأزمة دون أن تكون لها صلة مباشرة بها. كما أن المملكة تفضل حياداً بنّاء لا يمكن أن يضعها في خانة الملاحظة السلبية لمنزلق مقلق بين دول شقيقة». هكذا، عبّرت الرباط عن نيتها «بذل مساع حميدة من أجل تشجيع حوار صريح وشامل على أساس عدم التدخل في الشؤون الداخلية، ومحاربة التطرّف الديني والوضوح في المواقف والوفاء بالالتزامات»، وهي المبادرة التي لم تجد رداً.

هذا الموقف من الأزمة الخليجية لم يرُق «الأشقاء» في الإمارات، والأخيرة لم تعط لزيارة الملك، في عزّ أزمة المقاطعة، إلى الإمارات، عقب مشاركته في افتتاح «معهد لوفر»، أهمّية، بل خصّص للملك استقبال فاتر على عكس قطر التي استقبلته استقبالاً رسمياً تقدّمه الأمير، كما أطلق القطريون عليه لقب «كاسر الحصار». أزمة المقاطعة عزّزت فرضية الدعم المتبادل بين المغرب وقطر، المتقاربين في موقفيهما من «الربيع العربي»، فقيما دعمته قطر وفتحت أبوابها للإسلاميين، نهج محمد السادس الطريق نفسه بإعلانه «إصلاحات دستورية» أعقبتها انتخابات بوّأت الإسلاميين الصدارة، في حين نصّبت الإمارات نفسها قائدة للمحور المعادي للإسلاميين و«الربيع العربي».

مقالة

صراع الكراسي في نجد: البعد الموضوعي ومسؤولية الملك

عباس بوصفوان*

يُصوّر الملك السعودي سلمان بن عبد العزيز، في كثير من أجهزة الإعلام: عليلاً، خانعاً، فاقداً للأهلية، ولا يملك قراره، فيما يُرمى اللّوم (أو المدح) على نجله ولي العهد، في مجمل الإجراءات المثيرة التي خاضتها السعودية في السنوات الخمس الأخيرة. وفوق ذلك، فإن الشائعات تكاد لا تهدأ عن موت الملك، وسعي الابن لاغتيال والده، متعجّلاً الوصول إلى العرش. الأمر الجلي، أن النظام الأساسي (بمثابة دستور) يمنح الملك السعودي صلاحيات مطلقة: تشريعية وتنفيذية وقضائية، بما في ذلك تنصيب وإعفاء ولي العهد (المادة 5/أ)، ولا يحوز ولي العهد صلاحيات إلا تلك التي يكلّفه بها رأس الدولة (المادة 5/د).

محمد بن سلمان ليست في يديه صلاحيات تلقائية كونه نجل الملك، أو لأنه يتبوّأ منصب ولاية العهد، وإلّا لما اختلف الأمر بين ولي عهد وآخر. والوقائع المشهورة لا تسجل اضطلاع مقرن بن عبد العزيز، حين نُصب ولياً للعهد، بين كانون الثاني / يناير ونيسان / أبريل2015، بمسؤوليات جسام، وفوق ذلك أزيح الرجل من موقعه بجرّة قلم ملكية، من دون ضجيج، ثم أزيح خلفه محمد بن نايف، في خطوة أثارت التساؤل والقلق. وإذا كان للملك أن يزيح مقرن، ثم ابن نايف، أليس له أن يزيح نجله محمد لصالح ولي عهد آخر؟ ولعلنا نتذكّر أن الملك الأردني حسين بن طلال، أزاح شقيقه الأصغر الحسن، من ولاية العهد، قبل ساعات من رحيله في يناير 1999، بعد أن قضى الحسن نحو 35 عاماً في منصبه. ليس من المبالغة القول بأن منصب ولاية العهد أقرب إلى أن يكون مُدوّناً بالقلم الرصاص في الدول القبلية. وهذا ما يجعل أقصى أولويات ولي العهد السعودي - وأي ولي عهد آخر في حكم ملكي غير دستوري - حيازة رضى الملك.

من هنا، الافتراض بأن الملك يُعدّ الراعي الأكبر لنجله، والعمود الذي ترتكز عليه خيمة ابن سلمان المهترئة. وقد عمل الأب - في الأساس - على تثبيت ابنه المدلّل في موقعه العلي بإرادة خالصة. فالملك، لا غيره وبمحض إرادته وتقديره، فضّل نجله، غير البكر، على أبنائه الآخرين، ومنحه صكاً شبه مفتوح لإدارة البلاد، بغية ترسيخه حاكماً قادماً على صهوة أبيه. وخاض الابن، باعتباره وزيراً للدفاع ومسؤولاً عن السياسة الخارجية والاقتصاد، غمار معارك خائبة: في اليمن، وعلى صعيد الحصار ضد قطر، واختطاف رئيس وزراء لبنان، وانهيار أسهم «أرامكو»... ويفترض أن تكون تداعيات بعض ذلك كافية لوضع ابن سلمان أمام تساؤلات حقيقية، لكن ذلك لا يحدث بفضل السند المطلق من والده، الذي أسداه شرعية اقتراف الأخطاء.

على أن ما يراه المتفحّص جُرماً، قد لا يعدّه المسؤول النجدي كذلك. ومن المؤكد أن اعتقالات «ريتز كارلتون» الشهيرة (نوفمبر 2017) لأمراء ووزراء ورجال أعمال لم يكن خطأ غير مقصود، بل كان عملاً ملكياً مخططاً، غايته تكسير مراكز القوى المهدّدة لمشروع احتكار البيت السلماني للقرار السعودي. لكن الخطأ الأبرز للأب يرتسم في الزجّ بابنه في أتون معركة إدارة البلاد، قبل أن يشتد عوده، وتنضج ممارسته، ويمرّ بمرحلة تدريبية لازمة لتهيئته لقيادة البلاد. ولم يحظ ابن سلمان بفرصة العمل في البيروقراطية السعودية، كما خاضها أقرانه الأكبر، محمد بن نايف ومتعب بن عبد الله، ما منحهم الفرصة للتعلّم من الأخطاء والتجارب، وتكوين طاقم مقرّب وموثوق. والملكُ القديم في البيروقراطية السعودية (عُيّن أميراً للرياض في عام 1955، وانتظر طويلاً حتى آتاه العرش في يناير 2015، بعد موت نظرائه من السديريين: نايف وسلطان) وجد الفرصة سانحة لإعادة هيكلة السلطة، ومحورتها حوله وابنه من بعده، فيما السرعة والعلنية والشدة التي تتسم بها العملية ذات صلة بخشية الملك من أن يعاجله «مَلك الموت»، قبل أن يتسنّى له ترسيم الحكم في ذريته.

ويعلم سلمان أن وفاته، ووصول ابن نايف - أو أي شخص آخر - إلى الكرسي يعني تبدّل موازين القوى، وانهيار حلم استحواذ البيت السلماني على السلطة. وكانت إطاحة ابن نايف من ولاية العهد، في صيف 2017، لأن سلمان لا يعوّل على أن يبقي ابن نايف ابنَ سلمان ملكاً تالياً. ومع ترنّح فرضية «الانقلاب»، التي يتداولها بعض الإعلام تبريراً لاعتقال الأميرين البارزين أحمد بن عبد العزيز ومحمد بن نايف، فإن علامات الطموح لا تخفى لدى الثاني، وغيره من أحفاد الملك المؤسس، المتطلّع بعضهم إلى لعب دور مؤثر في الحياة السياسية. وتبدو جهود الملك ماضية لتوضيب المسرح لاعتلاء نسله العرش، رغم الأضرار الفادحة المتوقّعة من هكذا إجراءات، بما في ذلك الزجّ بشقيقه السديري أحمد في المعتقل. ولا يغيّر من الأمر إن كان محل الاعتقال سجن الحائر أم فيلاً فاخرة. ومن دون شك، فإن انقسامات العائلة الحاكمة باعثة على القلق لدى الملك وولي عهده، لكن الانقسام في البيت السلماني هو الذي يمثّل تهديداً بالغاً، وهنا تبرز أهمية الأب في ضبط إيقاع بيته، ولسان حاله يردد أمام أنجاله المتلهّفين للانفراد بالسلطة: إن تخالفتم أكلكم أبناء عمومتكم! إن بقاء الوالد مصلحة حيوية للبيت السلماني، وللابن الذي ما زال أمامه الكثير ليغرس أركان حكمه، المحاط بغيلان وذئاب يتطلعون إلى العرش، ويتساءلون عن أحقية ابن عمهم دونهم. وعلى عكس الشائعات غير المسنودة عن رغبة ابن سلمان في الانقضاض على والده، فإن رحيل الملك قبل أوانه، وتمكّنه من إفناء الخصوم، وشلّ مراكز القوى الأخرى، ستزيد من التعقيدات أمام ولي العهد، الفاقد للمشروعية التاريخية، وقد رفض أعضاء بارزون في هيئة البيعة مبايعته.

بيد أن الملك، وهو يتمتم بشأن بروز أعراض جانبية للاعتقالات، ومستفسراً: ما البدائل؟ وما دام لا يفكر في المسيرة الدستورية، وبناء دولة المؤسسات، سيظهر حاسماً، قاسياً، مستميتاً في تطبيق ما يراه صلاحياته المطلقة، في تعيين من يشاء، متى يشاء، ضمن منطق القبيلة، حيث يسود الملك. وفي خضم ذلك، لا بد وأن يتساءل عن حال أنجاله لو أتيحت الفرصة لشخصية أخرى غيره لتولي العرش: ألم يكن ليتبع ذات الطريق؟ يسجن ويقصي ويُؤهل أبناءه وأحفاده لبلوغ الحكم؟ وعادة ما كان أبناء الملوك أصحاب قرار إبان حكم والدهم، وقد عانى الملك عبد الله، مثلاً، حين كان ولياً للعهد من سطوة أبناء الملك فهد، رغم كون الأخير طريح الفراش.

> بقاء الوالد مصلحة حيوية للبيت السلماني وللابن الذي ما زال أمامه الكثير ليغرس أركان حكمه

والحقيقة أن الصراعات داخل القصور أمر معتاد، والبيت السعودي ما فارقته صراعات الأجنحة يوماً. لكن الملك سلمان يبدو بحاجة إلى جهد مضاعف لتحطيم أجنحة الحكم هذه المرة، فهو لا يرمي إلى خلق توازن معها، وإنما محقها، وخلق عرف جديد لتوارث الحكم عمودياً، وإقناع أبنائه بالوحدة، وبالقبول بالحكم لنجله محمد. وسبق أن تجمّع لوبي السديريين مع الراحل فيصل للإطاحة بالملك سعود، في عام 1964، وكان من بين أسباب ذلك تطلّع الملك الثاني للمملكة إلى منح صلاحيات لبعض أنجاله. بيد أن هذا الحال انقضى، فالملك سلمان آخر الأنجال الفاعلين لابن سعود، فيما هَمّش النظام التوارثي الأفقي، الذي ساد خلال العقود السبعة السالفة، جيل الأبناء. فقد سُحق أبناء الملوك المتتالين إرضاء لزعامة الإخوة الملوك.

إذاً، فإن السعودية تواجه إشكالية «موضوعية» في انتقال السلطة، تتجاوز كون الوريث المحتمل ابن سلمان، وإن كان سلوك الأخير يضاعف من تبعات المعضلة. والصراع القائم لا يمكن إلّا ترقّب استعاره في الإطار القبلي، المفتقر إلى أعراف مؤسساتية لتداول السلطة. وفي لحظة فارقة، يريد الملكُ نقل النفوذ والهيمنة من بيت عبد العزيز إلى بيت سلمان، ومن نمط أفقي بين الإخوان إلى نمط عمودي في نسل ابن سلمان، تندفع من تسليم لآل سعود بقائدهم المفروض عليهم.

فهل ينفي ذلك المخاطر؟ الأرجح أن الجواب بالنفي. فالمخاطر المحدقة بالسعودية تتعلّق – إلى جانب أمور عديدة أخرى – بانطفاء مراكز القوى، التي كانت تخلق نوعاً من «التوازن». وفي خمس سنين مضت، اندفع صاحب السلطان لتكريس أحادية، راكمت الإخفاقات. وإنه لمن المثير أن يتزامن ضمور المملكة مع بروز ابن سلمان قابضاً على السلطة من دون منازع.

* صحافي وكاتب من البحرين

يعلم سلمان ان وفاته، ووصول ابن نايف - او اي شخص اخر - إلى الكرسي يعني تبدّل موازين القوى (أ ف ب)

الحدث

النفط الصخري «ضحيّة» حرب الأسعار: الهيمنة الأميركية لها حدود

تبدو الحرب التاريخية على أسعار النفط، المدفوعة روسياً وسعودياً، لعبةَ عالية المخاطر بانتظار من يرخي أولاً. حتّى تستسلم إحدى الدولتين، ستعيد سوق الطاقة توازنها إلى حدّ كبير، على حساب صناعة النفط الصخري الأميركية. وبالتوازي، سيتمتّع المستهلكون في الولايات المتحدة وبلدان أخرى بأسعار منخفضة، فيما لا يزال مُبكراً تتبُّع آثار الأزمة الراهنة على تكتّل «أوبك» وفعّالية المنظمة في إدارة السوق

ملاك حمود

أطبقت الجدران على صناعة النفط الصخري الأميركية. سياسة الاكتفاء الذاتي، التي شكّلت ورقة قوّة إستراتيجية، كما صوّرتها واشنطن لسنوات طويلة، باتت إحدى نقاط ضعفها. ضعفٌ تبدّى في مواجهة حرب الأسعار الروسية ـ السعودية المستعرة، بعدما رفضت موسكو تحمُّل اقتطاعات حادّة إضافية في إنتاج الخام عدّتها «هدية مجّانيّة» للنفط الأميركي. ردّت الرياض بخفض أسعار خاماتها إلى الأسواق الرئيسية، وزيادة إنتاجها من مستوى 9,8 إلى 12,3 مليون برميل في نيسان/أبريل في سوق تشهد إمداداً مفرطاً من النفط، ما أدّى إلى انهيار قياسي في الأسعار المنخفضة أصلاً بفعل انتشار «كورونا». ففي غضون ساعات قليلة من إعلان «أرامكو» عزمها إغراق السوق، خفّضت «أوكسيدنتال بتروليوم»، أكبر مُنتج للنفط الصخري في الولايات المتحدة، توزيعات الأرباح من 79 إلى 11 سنتاً للسهم. أعلنت الشركة، التي سبق لها أن أنفقت العام الماضي 57 مليار دولار بأموال أغلبها مقترَضة لشراء منافستها «أناداركو بتروليوم»، أنها ستخفض الاستثمار لهذا العام إلى ما بين 3,5 و3,7 مليارات دولار، بعدما كان من 5,2 إلى 5,4 مليار اتدولار في عام 2019، وذلك لمواجهة الانخفاض المتوقّع في أرباح التشغيل، وانخفاض حصّتها بـ50% بسبب انهيار الأسعار.

استمرار ضغوط الأسعار الهابطة على صناعة النفط الأميركية ذات المديونية العالية، ربّما يؤدّي، وفق كبير الاستراتيجيين في مؤسسة «برايتسفير» للاستثمار، جون فورسيث، إلى العجز عن سداد الديون». تبعات ذلك ستكون كبيرة على الاقتصاد الأميركي بالنظر إلى أن هذه الصناعة شكّلت ما يصل إلى 10% من النمو الاقتصادي في السنوات الأخيرة، كما أضافت أكثر من 10 ملايين وظيفة. من هنا، يدرس مسؤولون في إدارة دونالد ترامب خططاً لدعم منتجي الطاقة، بما في ذلك شراء النفط بالأسعار المنخفضة الحالية لتخزينه ضمن الاحتياطي الاستراتيجي المُحتفظ به في مستودعات تمتدّ على سواحل تكساس ولويزيانا. لكن خبير الطاقة ونائب رئيس مجلس إدارة «أي إتش إس ماركت»، دانيال برجين، يبدي شكوكاً إزاء ذلك: «لا أرى كيف يمكن استخدام الاحتياطي الاستراتيجي... مع كمية النفط القادمة إلى السوق سيؤدي هذا فعلياً إلى تضخّم المخزونات، وسيستغرق الأمر وقتاً طويلاً لخفضها».

ومع انتهاء اجتماع تحالف «أوبك+» (تحالف بين «أوبك» ومنتجين مستقلين بقيادة موسكو) في فيينا الأسبوع الماضي، كانت الإجابة عن سؤال مَن يجب أن يتحمّل اقتطاعات إضافية في إنتاج النفط لتعويض التراجع في الطلب بفعل انتشار «كورونا» واضحة: الولايات المتحدة. يرى المستشار السابق لشؤون الطاقة في إدارة باراك أوباما، جيسون بوردوف، أن «الدراما» السعودية ـ الروسية ستضرّ مصداقية «منظمة الدول المصدرة للنفط» (أوبك) لسنوات مقبلة، فضلاً عن أنها ستقوّض صناعة النفط الصخري. وفي حين أن صدمات الأسعار السابقة كانت مدفوعةً بالعرض أو الطلب، فإن السوق لم تشهد مثيلاً للانهيار الحالي كونه ناتجاً من انخفاض قياسي في الطلب، وتراكم ضخم في العرض في الوقت نفسه. وفي مقالة بوردوف في «فورين بوليسي»، يضع سيناريوات لتداعيات حرب الأسعار القائمة، أبرزها:

أولاً، قرار الرياض تعويم سوق الطاقة مقامرة كبيرة، في حال كانت تنوي العودة إلى طاولة المفاوضات مع الروس. المشكلة عند السعودية هي أن روسيا أكثر مرونة تجاه انخفاض الأسعار ممّا هي عليه بعدما ضاعفت احتياطاتها من العملات الصعبة، بينما تراجعت الوسيلة المالية السعودية منذ انهيار الأسعار عام 2014 (تستطيع موسكو ضبط موازنتها عند 42 دولاراً للبرميل الواحد، في حين تحتاج الرياض إلى ضعف هذا المبلغ لضبط موازنة 2020).

> أدّت صناعة النفط الصخري إلى تغيير الأنماط التقليدية للجغرافيا السياسية للطاقة

ثانياً، يهدّد انهيار تحالف «أوبك+» بـ«الحاق أضرار طويلة الأمد بـ«الكارتل». إذ واجهت «أوبك» بالفعل تحدياً جرّاء زيادة إنتاج النفط الصخري وانخفاض حصّتها من الإمدادات العالمية، في حين أن مزيجاً من العقوبات وغياب الاستقرار السياسي يؤثران في عدد من دول المنظمة، ما يعني أن عدداً قليلاً فقط من أعضائها (السعودية والإمارات والكويت) قادرون على خفض الإنتاج. لكل هذه الأسباب، رأت المملكة أن مشاركة دول غير أعضاء في «أوبك»، وخصوصاً روسيا، أمر حاسم لنجاح «أوبك +». مع ذلك، السماح لغير الأعضاء بإفساد صفقة وافقت عليها جميع دول المنظمة يمثّل ضربة لمصداقية «الكارتل»، فيما يهدّد احتمال انسحاب روسيا من اتفاق التعاون بتقويض قدرة «أوبك» على إدارة سوق النفط بفعّالية.

ثالثاً، تعدُّ صناعة النفط الصخري الأميركية الخاسر الأكبر من كل ما يحدث، لأن استمرار أسعار الخام في الولايات المتحدة عند حدود 30 دولاراً لمدّة طويلة سيؤدّي إلى إفلاس الكثير من الشركات. ونظراً إلى الانخفاض الحادّ في إمدادات النفط الصخري، ستبدأ مستويات الإنتاج في البلاد بالانخفاض أكثر (يُقدّر الرئيس التنفيذي لشركة «بايونير ناتشرال ريسورسيز»، سكوت شيفيلد، انخفاض الإنتاج الأميركي بأكثر من مليون برميل يومياً، بحلول العام المقبل، إذا بقيت الأسعار على ما هي عليه. لكن حتى قبل انهيار اتفاق «أوبك+»، فإن تباطؤ نموّ إنتاج النفط الصخري كان متوقّعاً بفعل انخفاض الأسعار والقيود على رأس المال وسط تشكّك المستثمرين في قطاع ضعيف الربحية).

رابعاً، تكشف حرب الأسعار أن ثورة النفط الصخري ليست نقطة قوة اقتصادية وجيوسياسية كبيرة لواشنطن فحسب، بل نقطة ضعف جديدة أيضاً. جزءٌ رئيس من الغضبة الروسية سببها السياسة الخارجية الأميركية، وخصوصاً العقوبات الأخيرة التي استهدفت مشروع خط أنابيب «السيل الشمالي 2» والذراع التجارية لشركة «روسنفت». لذلك، إن خصماً رئيساً للأميركيين يعتقد أن في إمكانه أن يتسبّب في ألم للأخيرة عبر دفع الأسعار إلى الانخفاض، يكشف كيف أن صناعة النفط الصخري أدّت إلى تغيير الأنماط التقليدية للجغرافيا السياسية للطاقة. وبالطريقة نفسها التي هدّدت فيها الصين بالانتقام من الرسوم الجمركية الأميركية، عبر فرض تعريفات خاصة بها على الصادرات الأميركية من الغاز الطبيعي والنفط، تكشف الخطوة الروسية أن «الهيمنة الأميركية على الطاقة» لها حدودها.

تشكّل صناعة الطاقة ما يصل إلى 10٪ من النمو الاقتصادي الأميركي في السنوات الأخيرة (أ ف ب)

مصر

ضحايا السيول أكثر من 20... وشبح أزمة يخيم على «السويس»

لقي نحو 20 مصرياً على الأقل حتفهم من جراء العاصفة الأخيرة المسماة «التنين»، كما تضررت مئات العقارات من جراء حوادث انهيارات لمنازل أو أجزاء منها، وسط عجز حكومي عن التعامل مع كمية الأمطار التي أغرقت الشوارع وأربكت طواقم البلديات، فيما دخلت قرى بأكملها يومها الثاني من الغرق وانقطاع الخدمات، الأمر الذي أدى إلى عزلها بالكامل. هذا ليس العجز الأول للحكومة في حوادث مشابهة رغم التحذيرات السابقة، إذ غابت الكفاءة كما يشتكي المواطنون رغم أن الدولة أعلنت «الاستنفار» قبل وصول العاصفة، في وقت أُغلقت فيه الشوارع وسط حالة شلل كامل. وكانت المناطق خارج القاهرة الأكثر تضرراً بسبب حشد المعدات التي يمكنها التعامل مع الأمطار في العاصمة والمدن الرئيسية فحسب، وهي النقطة التي تجاهل الحديث فيها رئيس الوزراء، مصطفى مدبولي، رغم ظهوره المتكرر لمتابعة الأوضاع.

يأتي هذا الإرباك بالتوازي مع أزمة أخرى تسبب فيها الانخفاض المفاجئ في أسعار النفط المتزامن مع تراجع حركة التجارة عالمياً، وهو ما يمس إيرادات قناة السويس، إضافة إلى تراجع معدلات التدفق السياحي، الأمر الذي يؤثر في مخططات الحكومة للحفاظ على معدلات النمو الاقتصادي، خاصة مع تسجيل تراجع يومي في تحويلات المصريين من الخارج، وسط مخاوف من اضطرار الحكومة إلى الاستدانة مجدداً مع استحالة تحقيق الأرقام المستهدفة اقتصادياً. ورفع تقرير عاجل من جهات سيادية إلى الرئاسة تطالب بخطط سريعة للتعامل مع الأزمة الحالية، منذرة بإلغاء المئات من الحجوزات وتأثّر السياحة بالمخاوف من فيروس كورونا، في وضع قد يكون الأسوأ منذ 2011.

النقطة الأهم في التقرير الذي اطلعت «الأخبار» على فحواه، ترتبط بإيرادات «السويس» التي ستطاولها ضربة مزدوجة تهدد عائداتها التي تمثّل أهم موارد خزانة الدولة؛ فالتأثير السلبي بتراجع التجارة العالمية ليس العامل الوحيد الذي سينال من إيرادات القناة، لكن انخفاض أسعار النفط أيضاً، لأن هذا سيدفع الخطوط الملاحية إلى البحث عن مسارات بديلة من القناة، في مقدمتها طريق رأس الرجاء الصالح، بسبب رسوم القناة العالية. لذلك، طلب تخفيض البديلة ستكون أفضل رغم فرق الوقت. التقرير نفسه قدّر أنه لو استمرت الأزمة شهرين من الآن، فستكون العواقب كارثية، ولا سيما أن الطلبات تتراجع بشدة على الخطوط الملاحية المختلفة، مشيراً إلى أن القناة مطالبة بتقديم دراسة عن السيناريوات التي ستتعامل بها، وهو الإجراء الذي لم يحدث حتى الآن. كما أوصى التقرير بألّا يكون هناك خوف من تخفيض الرسوم كما حدث قبل عامين، بهدف المحافظة على «السويس» كوجهة أولى للعبور باستمرار، بل تقديم حوافز استثنائية لبقاء الخطوط الملاحية تستخدم القناة وخدماتها، مشيراً إلى أن العائدات في هذه الحالة «ستتأثر بنسبة قد تصل إلى 20%، في حين أن حركة التجارة الصينية في القناة تبلغ 15%» من المجمل.

> طالب تقرير سيادي بتخفيض رسوم «السويس» كي لا تتضرر إيراداتها كثيراً

انقطعت بلدات وقرى بكاملها بسبب حصر الدولة أجهزة الشفط في العاصمة والمدن الكبرى (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 3403

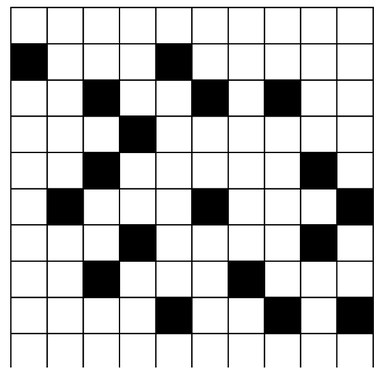

أفقيا

1- ضاحية عصرية في القاهرة – 2- بلدة لبنانية تحمل نفس الإسم في كسروان وعالية – مدينة في اليمن قرب باب المندب – 3- سقي النبات – ربط وشدّ السروال – للنفي – 4- حارس – خشبة الحائك – 5- بلدة لبنانية بقضاء كسروان – اغلظ أوتار العود – 6- ثغري ومبسمي – صفة القمر المتلئ – 7- مدينة مصرية على النيل – كبر وفخر وتيه – 8- لهو ولعب – من الأشجار – طائر وهمي كبير أو حجر من أحجار لعبة الشطرنج – 9- حرف جر – ضد صيفي – 10- أغنية مشهورة للمطربة وردة الجزائرية من ألحان الموسيقار محمد عبد الوهاب

عمودياً

1- صفة مشهور في المجتمع بالشهامة وحسن السلوك – حسب الأموال – 2- صوت الأسنان والقلم – إحدى الإمارات العربية المتحدة – 3- ثري – من المغنين في أوائل العهد العبّاسي أخذ الغناء عن معبد – 4- من أعظم الهة مصر القديمة وحامي الموتى – إسم بوذا في الصين – 5- حرف نصب – متشابهان – ريح لبّنة وخفيفة – 6- جزيرة مرجانية في المحيط الهندي تؤلف مع تنغانيكا دولة تنزانيا – 7- أشدّ البناء لكي لا يميل – خاصم أشدّ الخصومة – سال وقطر الماء – 8- من أعضاء الجسم – من الحبوب – شاي بالأجنبية – 9- مهندس اسكتلندي إخترع الدواليب المنفوخة للسيارات – أسرع في مشيه – 10- من الأكلات والأطباق العربية المشهورة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- جابر بن حيّان – 2- وسن – سويسرا – 3- رب – صك – إجاص – 4- جام – نجد – ني – 5- خنّ – ات – يضيف – 6- بيكمان – 11-7 – طبيبي – 8- جزر – كريت – 9- كاوبوي – رو – 10- الكنعانيون

عمودياً

1- جورج خباز – 2- اسبانيا – كلّ – 3- بن – جاك – 4- امازون – 5- بسكنتا – رئم – 6- نو – نطّ – وا – 7- حيادي – بكيّ – 8- يسجّ – ضرير – 9- ارانى – بيرو – 10- ناصيف زيتون

sudoku 3403

3	7		2	5	6			
4	2			9				
				1				
8	4		9	6	1	5	2	
5		9				6		3
		7	5	4	3			1
				8			1	2
			7		9		6	8

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3402

3	7	6	2	5	4	9	1	8
9	8	5	6	3	1	2	4	7
1	4	2	9	7	8	6	5	3
4	6	9	7	1	2	3	8	5
2	1	8	3	6	5	4	7	9
7	5	3	4	8	9	1	2	6
8	3	7	1	4	6	5	9	2
6	9	4	5	2	7	8	3	1
5	2	1	8	9	3	7	6	4

مشاهير 3403

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

روائي وأديب إسباني (1873-1967) أحيا التراث الوطني « على طريق دون كيشوت ». لأعماله الأدبية قيمة كبيرة. يتميز أسلوبه بالإنطباعية الوصفية باستخدام جمل قصيرة وبسيطة

3+1+2+4=8 = طائرة روسية ■ 7+11+6+9=5 حزام الخصر ■ 10+5= ضمير منفصل

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: أميرة الطويل

إعلانات رسمية

دعوة

تدعو الجمعية التعاونية لصيادي الاسماك في انفه جميع الاعضاء لحضور جمعية عمومية وذلك يوم الاحد الواقع فيه 2020/4/12 الساعة الرابعة مساءً في بيت الرعية واذا لم يكتمل النصاب تعقد بمن حضر يوم السبت الواقع فيه 2020/4/19 في نفس المكان والزمان.
برنامج الجمعية:
1 – عرض تقرير لجنة المراقبة.
2 – عرض ميزانية 2019 وتبرئة ذمة المجلس.
رئيس التعاونية
إميل الخباز

إعلان

تعلن كهرباء لبنان عن رغبتها في إجراء استدراج عروض لشراء معدات فحص مرحلات الحماية للوحدات 1 – 2 – 3 – 4 في معمل الذوق الحراري.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان ـ طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 50/ل.ل.
تسلم العروض باليد إلى امانة سر كهرباء لبنان ـ طريق النهر ـ الطابق «12» ـ المبنى المركزي (غرفة 1223).
علماً أن آخر موعد لتقديم العروض هو نهار الجمعة الواقع في 2020/5/8 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
بيروت في 2020/3/11
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 372

REPUBLIC OF LEBANON
ELECTRICITE DU LIBAN (EDL)
INVITATION TO BID FOR THE CONSTRUCTION , IMPLEMENTATION, AND THE POST IMPLEMENTATION OF A CENTRAL AMI SYSTEM
The Electricite du liban (EDL) intends to have a contract with an international prospective AMI contractor for the work described below through a competitive bidding process that is in general compliance with the guidelines of the owner.
The scope of work is to provide services necessary for the design engineering, supply, installation, testing, commissioning, implementation, managing, reporting, and operating / maintaining of activities related to implementing the central advanced metering infrastructure (AMI) System "Head End (HE), Meter Data Management (MDM), Billing and customer Relationship Management (CRM)" for the Main Center and the disaster recovery.
The cost of the services will be financed either by EDL or the World Bank. bidding documents will be available for collection at EDL offices (address shown below) during official working hours, starting March 12,2020, upon payment of the sum of five hundred thousand LEBANESE POUNDS (500,000 LBP).
ELECTRICITE DU LIBAN
TWELFTH FLOOR
22, RUE DU FLEUVE
P.O BOX 131, BEIRUT
LEBANON
PHONE: 961-1-442720 – 442729
FAX: 961-1-583084
In order to be considered for inclusion in the bidding, firm should return the documents to EDL offices at the above mentioned address not later than the end of official working hours (Beirut local time) on May 29,2020 before 11:00 a.m at the latest, duly completed and accompanied by the required supporting material.
Date: 10/03/2020
تكليف 369

بورتريه

10 سنوات على رحيل أنطوان شويري

كلّ شيءٍ مختلف بعد «صانع الإنجازات»

10 سنوات مرّت على رحيل أنطوان شويري (3 آب 1939 – 9 آذار 2010). سنوات مرّت ربما لم يجد خلالها كثيرون من المتعاطين بالشأن الرياضي ضرورةً لاستعادة مشاهد من مشوار الأخير في الرياضة اللبنانية وكرة السلة على وجه التحديد. لكن اليوم وفي الذكرى العاشرة لرحيل «العرّاب الأزلي» للعبة لا بدّ من التوقف لاستعراض شيءٍ من الماضي والإطلالة على الحاضر المختلف كثيراً

في زمن شويري أصبح اللاعبون من مشاهير البلاد (عدنان الحاج علي)

شربل كريّم

أُغرم بنادي الحكمة في يوم مأساوي لفريقه الذي عرف سقوطاً مدوياً أمام الأنصار في طرابلس. مذّاك وجد نفسه في قلب النادي الأخضر، ووجد مكاناً في قلوب الحكماويين بسرعةٍ كبيرة. كيف لا، وهو الذي خرج عليهم في تسعينيات القرن الماضي مفصحاً عن طموحاتٍ اعتبرها البعض خيالية وقتذاك، وهو الذي اختصرها لاحقاً بتحويل النادي العريق في بيروت إلى بطلٍ لقارة آسيا.

طبعاً هو كان يتحدث في ميادين كرة القدم التي كانت الأساس في إنشاء نادٍ اسمه الحكمة، لكن الواقع الذي فُرض عليه منعه من إصابة الحلم المنشود، وهي مسألة تبدو أشبه بقناعةٍ راسخة عند الحكماويين حتى اليوم، وهم الذين وجدوا أنفسهم مضطهدين، بحسب قول بعضهم، واقتنعوا بأن هناك استحالة لرؤية ناديهم على منصة التتويج.

شويري أدرك أن السيطرة على سوق الإعلانات هي غير السيطرة على الساحة الكروية، وخصوصاً في ظل التعقيدات الكثيرة التي كانت موجودة فيها، فوجد الملاذ في أرضٍ خصبة لتحقيق الأحلام، وفي لعبةٍ تحوّلت لاحقاً إلى مرادفٍ لاسمه بعدما أصبحت الإنجازات مرادفةً لناديه ولها على مختلف المستويات.

إذاً ما عجز عنه الرجل في كرة القدم فعله في كرة السلة، فأصبح الحكمة بطلاً للبنان، بطلاً للعرب وبطلاً لآسيا.

لكن هذه الألقاب التي قد يأتي أي رئيسٍ لنادٍ لبناني ويجمعها إذا ما ثابر ووضع الميزانية الثقيلة والاستراتيجيّة الدقيقة، توازيها إنجازات من نوع آخر، بدأت من إرساء نهضة على صعيد كرة السلة انتقلت عدواها عبر السنوات إلى رياضات أخرى أرادت أن تنسخ بعض إنجازات المستديرة البرتقالية، وهي إذ لم تنجح في هذا الأمرِ في مكانٍ ما فإن اجتهادها لبلوغ طموحاتها وأهدافها انعكس رفعةً في مستواها في فترة لاحقة، ما ساهم في ازدهارها أيضاً.

وهذه النهضة ترافقت مع نقل اللعبة من مجرد رياضة بين رياضات كثيرة إلى رياضة وطنية ومساحة لجمع شريحة من اللبنانيين شعرت يوماً أنها غير قادرة على التعبير، ولو أنها في بعض الأحيان ذهبت في اتجاهٍ غير رياضي من خلال هتافاتها أو توجهاتها (في تلك الفترة وبعدها قال البعض إن شويري أتى وأراد عبر إنجازات الحكمة انتشال المسيحيين من الإحباط الذي عاشوه بعد نهاية الحرب الأهلية واتفاق الطائف). من هنا، تحوّلت قاعة نادي غزير إلى ملتقى رياضي كبير، وإلى ساحة لتظهير الإنجازات المبنية على جهدٍ وتعبٍ وإيمانٍ بتحقيق أحلامٍ احتفل بها اللبنانيون في مختلف ساحات المناطق، وأحياناً حتى الساعات الأولى من الصباح.

التعب والعرق اختصرهما أكثر من صورة للرجل وهو يرفع الكؤوس مع نجوم فريقه الذين حوّلهم إلى رموزٍ رياضية ورسم حولهم هالة الأبطال. هي نقطة يتوقف كثيرون عندها اليوم، ففي زمن شويري عاش اللاعب اللبناني أياماً مجيدة، وعرف الحياة الاحترافية وكسب احترام الأندية التي لم يعد قسمٌ لا يستهان به منها يؤمن به بشكلٍ كامل، وهو ما يوسّع الهوة أكثر بين طرفي الارتباط الأساسيين في كرة السلة اللبنانية.

في زمن شويري أصبح اللاعبون من مشاهير البلاد، وبالكاد كانوا يسيرون أمتاراً قليلة من دون أن يلحظ أحد مرورهم. هم تحوّلوا إلى شخصيات عامة بفعل الإضاءة الإعلامية التي صوّبها عليهم بشكلٍ مكثّف، بينما قاتل خلفاؤهم عبر السنوات الأخيرة للمطالبة بحقوقهم أو الحصول عليها من الأندية. ولا يمكن اليوم نكران أن الفارق يبدو شاسعاً بين لاعبي الجيل القديم والرعيل الحالي، إن كان على صعيد النجومية أو حتى في بعض الأحيان على صعيد القدرة المالية التي جعلت لاعبين سابقين يعيشون حياة الثراء ويؤسسون لمشاريع كبيرة بعد اعتزالهم، ومنهم من كسب ماله بشكل «مكافأة» شخصية من شويري تقديراً لعطاءاته أو أحياناً لضمان بقائه في الحكمة أو حتى في كرة السلة اللبنانية.

أندية الوقت الراهن لا يمكن لومها في أماكن كثيرة أيضاً، فهي لسوء حظّها لا تنشط أو تعيش في زمن الرئيس الذي يمكن وصفه بـ «رئيس الكل»، فقد ترأّس عملياً أنديةً من دون أن تكون لديه صفة رسمية فيها، وذلك من خلال دعمها مالياً (تماماً كما فعل مع المنتخبات)، والهدف هو الحفاظ على صورة وسمعة وتنافسية اللعبة، وإبعاد الخضات عنها وعن اتحاداتها التي بدا القيّمون عليها في فترةٍ من الفترات أضعف من الرجل القوي والمتحكّم فيها وباللعبة عامةً.

طبعاً قد يكون من الظلم للرؤساء الذين تعاقبوا على الاتحادات والأندية مقارنتهم بشويري بسبب الظروف المختلفة التي واجهوها غالباً، وهي بدت صعبة جداً منذ 2010 حتى يومنا هذا. لكن من الظلم أيضاً ألّا يتمّ ذكر شويري على أنه شخصية استثنائية محنّكة وذكية ومدركة لكل شيء لناحية العمل الإداري الذي قارب المثالية، والدليل أنه ترك إرثاً عاد الحكماويون للسير وفق نهجه أخيراً، معتبرين أنه خشبة الخلاص للنادي المتقهقر منذ رحيل راعيه التاريخي.

رحيلٌ استذكره الحكماويون في كل مرةٍ وجدوا فيها ناديهم يسير على جلجلة العذاب، لكن لا شك في أنهم لا يستذكرونه في محطات الخيبات فقط بل في كل حنين إلى أيامٍ ذهبية صنعها بحبٍّ وشغفٍ قلّ نظيرهما.

متابعة

السرعة الزائدة سبب مقتل سالا

كانت طائرة سالا تحلّق بطريقة غير ثابتة مع الاقتراب من نهاية الرحلة (أ ف ب)

خلصت شعبة التحقيق في الحوادث الجوية في بريطانيا «أي أي آي بي»، في التقرير الذي صدر أمس الجمعة، إلى أن الحادث الذي أودى بحياة لاعب كرة القدم الأرجنتيني إيميليانو سالا، كان ناجماً عن فقدان ربان الطائرة السيطرة عليها بسبب السرعة الزائدة.

وقالت شعبة التحقيق في تقريرها النهائي بشأن حادث التحطم الذي وقع في كانون الثاني/يناير 2019، حين كان سالا متوجّهاً من نانت الى كارديف سيتي للانضمام الى فريقه الجديد، إن طائرة «بايبر ماليبو» ذات المحرك الواحد انشطرت وسقطت في مياه بحر المانش.

وأكّد المحققون أن الطيار ديفيد إيبوتسون (59 عاماً) لم يكن يحمل رخصة مناسبة لقيادة هذا النوع من الطائرات، وفي الليل، كما كان يشغّل رحلات تجارية غير مرخصة ويحصل على مبلغ غير محدد مقابل الرحلة، وهذا أمر غير قانوني.

وكشف التقرير وجود احتمال لتنشق الربان لأول أوكسيد الكربون، على غرار سالا، قبل الحادث، موصياً بتجهيز الطائرات كافة بأجهزة استشعار لأول أوكسيد الكربون.

وأفاد كبير المفتشين بفرع التحقيق في الحوادث الجوية، أليسون كامبل، بأن الطائرة كانت تحلق بطريقة غير ثابتة مع الاقتراب من نهاية الرحلة، وذلك ضمن مساعي إيبوتسون لتجنّب الأحوال الجوية السيّئة.

وأوضح «كان الطقس سيّئاً في المنطقة، ومن مكالماته عبر أجهزة الاتصال كان واضحاً أن الربان احتاج الى المناورة لتجنّبه».

وكانت سرعة الطائرة بحدود 435 كلم/ساعة حين ارتطمت بسطح الماء بحسب التقرير.

ولقي سالا حتفه في سن الثامنة والعشرين في كانون الثاني/يناير 2019، بعدما تحطمت في بحر المانش الطائرة الصغيرة التي كانت تقله مع ربانها إيبوتسون. وتم انتشال جثة سالا في شباط/ فبراير 2019، ولكن لم يتم العثور على جثة إيبوتسون.

وفي آب/اغسطس من العام الماضي، قالت شعبة التحقيقات في الحوادث الجوية إن سالا وايبوتسون، اللذين كانا الوحيدين على متن الطائرة، من المحتمل أن يكونا قد تعرّضا لمستويات «قاتلة محتملة» من أول أوكسيد الكربون.

وأضاف البيان وقتها أن التعرض لهذه المستويات «يمكن أن يقلل أو يمنع قدرة الطيار على قيادة طائرة اعتماداً على مستوى هذا التعرض».

وتم التعاقد مع سالا للانتقال إلى كارديف مقابل 15 مليون جنيه إسترليني (19 مليون دولار، 17 مليون يورو) في صفقة لم تكتمل إلا قبل أيام قليلة من وقوع الحادث. وسافر لاعب كرة القدم إلى العاصمة الويلزية لإتمام الصفقة، ثم عاد إلى شمال غرب فرنسا لجمع أمتعته وتوديع زملائه. وكان سالا في طريقه عائداً إلى كارديف للمشاركة في أول حصة تدريبية له هناك.

وباء

كورونا يجمّد كرة القدم في أوروبا

جمّدت المخاوف من تفشي فيروس كورونا المستجدّ كرة القدم في البطولات الأوروبية الخمس الكبرى أمس الجمعة، مع إعلان الاتحاد القاري إرجاء مباريات مسابقتي دوري الأبطال و«يوروبا ليغ»، وتعليق البطولات في إنكلترا وفرنسا وألمانيا

إصابة هادسون-أودوي وضعت أعضاء فريقه تشلسي في حجر صحي

انضمت البطولات الوطنية الثلاث الى إسبانيا المجمدة لمرحلتين وإيطاليا المتوقفة حتى الثالث من نيسان/أبريل، في ظل تفشي فيروس «كوفيد-19» الذي حصد 5043 وفاة حول العالم بحسب حصيلة جمعتها وكالة فرانس برس من مصادر رسمية.

وبعد الفوضى التي حكمت مباريات دوري الأبطال و«يوروبا ليغ» في الأيام الأخيرة لجهة إرجاء بعضها أو إقامة آخر من دون جمهور، حسم «ويفا» موقفه بإعلان إرجاء كامل مباريات الأندية المقرّرة في الأسبوع المقبل.

وكان الاتحاد قد أعلن أول من أمس إرجاء مباراتي مانشستر سيتي الإنكليزي وضيفه ريال مدريد الإسباني، ويوفنتوس الإيطالي وضيفه ليون الفرنسي واللتين كانتا مقرّرتين الثلاثاء في إياب الدور ثمن النهائي لدوري الأبطال.

وجاء التأجيل غداة الإعلان عن إصابة مدافع يوفنتوس دانييلي روغاني بالفيروس ما دفع ناديه إلى وضع لاعبيه وجهازه الفني رهن الحجر الصحي الذي يخضع له أيضاً كامل أفراد ريال مدريد بعد إصابة أحد لاعبي فريق كرة السلة بالفيروس، ما دفع رابطة دوري كرة القدم الإسباني إلى تعليق مباريات الليغا للمرحلتين المقبلتين على الأقل.

وأتت هذه القرارات قبل اجتماع دعا إليه ويفا الثلاثاء المقبل لبحث مصير مسابقات الأندية وبطولة كأس أوروبا 2020 المقرّرة بين 12 حزيران/يونيو و12 تموز/يوليو في 12 مدينة عبر القارة.

ومن الاحتمالات المطروحة إرجاء البطولة بالكامل حتى صيف 2021.

ألمانيا تنضم إلى إنكلترا وفرنسا

هي المرة الأولى التي يعلن فيها الاتحاد القاري تجميداً شاملاً لمسابقتي الأندية في ظل هذه الأزمة، بعدما بقي الأمر في الأيام الماضية يقتصر على خطوات بشأن كل مباراة على حدة.

واتسعت أمس رقعة التجميد الكامل للمباريات. وبقي البريميرليغ إلى الخميس فريداً بين البطولات الوطنية الأوروبية لجهة عدم إرجاء مبارياته أو منع الجمهور من حضورها، باستثناء تأجيل مباراة أرسنال ومانشستر سيتي الأربعاء بسبب وضع لاعبي الأول في العزل بعد احتكاكهم مع رئيس نادي أولمبياكوس اليوناني فانغيليس ماريناكيس الذي أعلن إصابته بالفيروس، على هامش مباراة سابقة بين الفريقين.

لكن المعطيات تغيّرت بشكل كامل مع تأكيد إصابة مدرب أرسنال الإسباني ميكل أرتيتا بالفيروس، قبل أن يعلن تشلسي إصابة هادسون-أودوي، واتساع رقعة الإصابات والشكوك فيها لفرق أخرى، ما يفرض وضع اللاعبين والجهاز الفني في عزل صحي لمدة أسبوعين على الأقل.

> أتت القرارات قبل اجتماع «ويفا» لبحث مصير مسابقات الأندية وبطولة كأس أوروبا 2020

وجاءت في بيان لرابطة البريميرليغ أمس الجمعة «بعد اجتماع المعنيين اليوم(أمس)، تقرّر بالإجماع تعليق الدوري الانكليزي بنية العودة في 4 نيسان/أبريل، رهناً بالمشورة الطبية والظروف».

وأشارت رابطة الدوري (إي أف أل) إلى تأجيل منافسات الكرة في إنكلترا «حتى 3 نيسان/أبريل على أقرب تقدير».

وكان هادسون-أودوي قد أصبح أول لاعب في دوري المستوى الأول يصاب بالفيروس، ما وضع أعضاء فريقه تشلسي في حجر صحي.

وطمأن اللاعب في شريط مصور عبر مواقع التواصل بالقول: «كما تعلمون التقطت الفيروس في الأيام القليلة الماضية وقد تعافيت منه. أنا أتبع التوصيات الصحية وأقوم بعزل نفسي عن الجميع لمدة أسبوع».

وإضافة إلى الحجر في أرسنال وتشلسي، أعلنت أندية أخرى إجراءات مماثلة، ولا سيما إيفرتون، القطب الثاني لمدينة ليفربول، الذي كشف عن وجود عوارض على أحد لاعبيه، ومانشستر سيتي الذي عزل أحد لاعبيه من دون كشف اسمه، لكن التقارير تشير إلى الفرنسي بنجامان مندي.

وفي فرنسا، قرّرت رابطة الدوري التعليق الفوري «وحتى إشعار آخر» للدرجتين الأولى والثانية، كما علمت فرانس برس من مصادر مقرّبة.

وكانت الرابطة قد قرّرت سابقاً إقامة المباريات من دون جمهور حتى الخامس عشر من نيسان/أبريل المقبل. وكان مقرّراً أن تنطلق المرحلة التاسعة والعشرون أمس الجمعة بمباراة ليون ورينس لكنها تأجّلت بموجب قرار الرابطة.

وبعدما بقي الوحيد بين الخمسة الكبار من دون تعليق نشاطه، رضخ الدوري في ألمانيا إلى التوجه العام قارياً وعالمياً، وأوقف منافساته موقّتاً للمرة الأولى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وذلك قبل ساعات من انطلاق المرحلة السادسة والعشرين مساء أمس الجمعة من دون مشجعين.

وأوضحت رابطة الدوري «نظراً إلى التطورات اليوم بشأن حالات إصابة جديدة بفيروس كورونا المستجدّ والحالات المشتبه فيها المرتبطة مباشرة بالبوندسليغا والدرجة الثانية، قرّرت رابطة الدوري» إرجاء مباريات المرحلة. وكان الاتحاد الألماني قد أعلن في وقت سابق أنه سيقترح وقف المباريات حتى الثاني من نيسان/أبريل، تاركاً ذلك إلى اجتماع كروي يعقد بعد غدٍ الإثنين.

وضع لاعبو أرسنال في العزل بعد احتكاكهم مع رئيس نادي أولمبياكوس اليوناني فانغيليس ماريناكيس (أ ف ب)

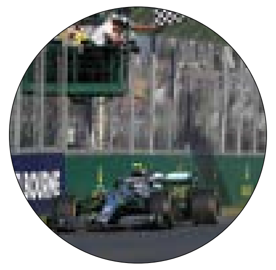

«الفيروس» يرجئ انطلاق الفورمولا 1

دفعت المخاوف من تفشي فيروس كورونا المستجد الى إرجاء انطلاق موسم بطولة العالم للفورمولا واحد الذي كان مقرراً هذا الأسبوع الى أيار/مايو المقبل، بعد إلغاء سباق جائزة أوستراليا الكبرى، وإرجاء جائزتي البحرين وفيتنام تباعاً. وكان من المقرر أن ينطلق موسم 2020 من بطولة العالم للفئة الأولى على حلبة ألبرت بارك في مدينة ملبورن الأوسترالية أمس، بالتجارب الحرة لسباق أوستراليا، قبل يومين من السباق الرئيسي غداً. لكن فيروس «كوفيد-19» أطل برأسه في البطولة بقوة الخميس، مع إعلان فريق ماكلارين انسحابه من السباق، بعد ثبوت إصابة أحد أفراده به.

وقبل وقت وجيز من الموعد المحدد للجولة الأولى من التجارب الحرة فجر الجمعة بتوقيت غرينيتش، أعلن المنظمون إلغاء السباق بالكامل على خلفية الفيروس، ليلي ذلك إرجاء سباقي البحرين (بين 20 و22 آذار/مارس) وفيتنام (بين الثالث والخامس من نيسان/أبريل).

وأوضح منظّمو بطولة العالم في بيان «بسبب الانتشار المستمر لفيروس كوفيد-19 وبعد المشاورات المستمرة مع +فيا+ (الاتحاد الدولي للسيارات) ومنظمي السباقات، تم اتخاذ قرار من قبل كل الأطراف بإرجاء جائزة البحرين الكبرى وجائزة فيتنام الكبرى».

ماراتون بوسطن «ضحية» جديدة للفيروس

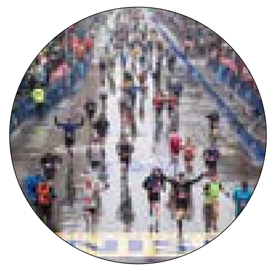

أرجئت النسخة الـ124 من ماراتون بوسطن الدولي من 20 نيسان/أبريل الى 14 أيلول/سبتمبر، وذلك بسبب فيروس كورونا المستجد، بحسب ما أعلنت اللجنة المنظمة أمس.

ويأتي قرار الإعلان عن إرجاء هذا الماراتون التاريخي الذي انطلق عام 1897، ما يجعله الأقدم في العالم، بعدما أعلن حاكم ماساشوستس تشارلي بايكر، الثلاثاء، حالة طوارئ في الولاية، وعقب لقاء بين عمدة بوسطن مارتن وولش ومنظمي الماراتون. وقال المدير التنفيذي للجنة المنظمة للماراتون توم غريلك «في مسائل الصحة والسلامة العامة، نأخذ توجيهنا من المسؤولين المكلفين بحماية العامة في هذا المجال».

«كاف» يجمّد النشاط في أفريقيا

أعلن الاتحاد الأفريقي لكرة القدم «كاف»، أمس، إرجاء عدد من مواعيده المقررة في الفترة المقبلة على خلفية تفشي فيروس كورونا المستجد، أبرزها تصفيات بطولة كأس الأمم 2021 المقررة في الكاميرون. وأورد الاتحاد في بيان عبر موقعه الإلكتروني «في أعقاب الهواجس بشأن فيروس «كوفيد-19» واعتباره وباءً عالمياً من قبل منظمة الصحة العالمية، قرر الكاف إرجاء المنافسات التالية حتى إشعار آخر».

وشمل الإرجاء الجولتين الثالثة والرابعة من تصفيات أمم أفريقيا اللتين كانتا مقرّرتين بين 25 آذار/مارس و31 منه، والتصفيات المقررة في آذار/مارس لنهائيات كأس العالم للسيدات لمنتخبات ما دون 20 عاماً، والتصفيات المقررة في نيسان/أبريل لكأس الأمم الأفريقية للسيدات 2020. وأشار الاتحاد الى أن المواعيد الجديدة ستعلن في الوقت المناسب.

زمن الأوبئة

كورونا التي حجرت العالم الجسد العليل في تمثيلاته البصريّة

إلى حين انقضاء المدّة التي تحتاج لها عوارض فيروس كورونا للظهور، تبدو كلّ أجسادنا معتلّة، من أصيب منا ومن لم يصب حتى الآن. جعل الوباء أجسادنا متساويةً، أقلّه في الحجر المنزلي، أي قبل ثبوت الإصابة والانتقال إلى الحجر الصحي الذي يستحضر تاريخاً طويلاً من التعاطي العنيف والقاسي مع جسد المرضى الذين ـ فضلاً عن علّتهم ـ يصبحون خطراً داهماً على من هم بجوارهم. تفادي الأجساد المريضة، والهرب منها والإشارة إليها، يبدو استكمالاً لممارسات اجتماعية وسياسيّة في عزل الأجساد العليلة والعاجزة منذ ما قبل الميلاد، حيث كان يتم عزل المصابين بالبرص. بدأ ذلك قبل ظهور وسائل حجر منظّمة ورسمية مع ظهور الطاعون الأسود في القرن الرابع عشر كحجز البواخر وإقفال المدن. مثل الوسمة التي تبعد الجسد العليل في المجتمع، وتهمّشه، يستلقي الجسد المريض في تمثيلاته البصريّة في اللوحات والصور، بجوار الأجساد القبيحة، والعاجزة والبدينة. في منتصف القرن التاسع عشر، طرح الفيلسوف الألماني كارل روسينكرانتز في كتابه «استطيقيا القبح» أفكاراً تبدو كتنظير مسبق لمدارس الفن الحديث التي تخلّت عن الرومانسيّة والمثاليّة. إذ أشار إلى أن القباحة ليست خاصيّة ملحة فحسب، بل هي خاصيّة ذات قدرة لدى تظهيرها فنياً على جعل عمل بشع ذا قيمة جماليّة. فكما تدرس البيولوجيا المرض، والأخلاق الشر، والقانون اللاعدالة، واللاهوت الخطيئة، وجد روسينكرانتز القباحة ملازمة للجمالية. ظهرت البشاعة والتشوّهات في أوقات مبكرة من تاريخ الفن، وظلّت تظهر في مراحل عدّة تحديداً في الحقبة الباروكيّة. غير أنها بقيت مرتبطة بقيم الشرّ، والمجرمين، والمختلين عقلياً، وبالأمراض والعلل التي تسبّب تغييرات جسديّة مثل الأورام، وتقلّص الجسد ووهنه، وانقباض العضل وغيره من التوصيفات التي يطلقها روسينكرانتز على أنواع مختلفة من الأوبئة والأمراض، مشدّداً على «أنّ أكثر التشوهات فظاعة هي بلا شك تلك الناتجة عن مرض السفلس، التي لا تنتج طفحاً جلدياً مقزّزاً فحسب، بل تتسبب أيضاً في تعفن وتدمير أنسجة العظام...». بصرف النظر عن الخوف من العدوى كما في حالة فيروس الكورونا، فإن عزل الجسد المريض، ينتقل أيضاً إلى عزله جمالياً في اللوحة. إذ يخضع تظهيره غالباً، إلى سمات تبدو جاهزة لأي جسد لا يبلغ الكمال. هنا بعض اللوحات لفنانين قدّموا تمثيلات مختلفة، سياسية وفردية واجتماعية للأجساد العليلة.

روان عز الدين

«رجل مصاب» (من سلسلة «المستلقين») لسيتا مانوكيان (حبر ورصاص على ورق ـ 17×23 سنتم ـ 1975)

مونش

◄ خسر إدوارد مونش أمّه وأخته بمرض السلّ، تلتهما خسارات لاحقة لإخوته الذين عانوا من الأمراض العقلية والجسدية. يجلس المرض في معظم أعماله، فاهراً عينيه كما في لوحة الطفلة المريضة بوجهها الشاحب، ولوحات أخرى لأسرة الموت التي يتجمّع حولها الأقارب والأصدقاء. في لوحته «موروث» التي صوّرت في وقت مبكر جسد طفل مصاب بمرض السفلس، اقتبس الفنان النرويجي وضعية طفل يتمدّد على ركبتي أمه المنتحبة من وضعية مريم العذراء والمسيح. ما أصاب المجتمع حين رسمها في 1897 بصدمة خصوصاً في تجسيده لمرض ينتقل عبر العدوى الجنسيّة. رسم مونش عمله، بعد زيارة إلى مستشفى سان لويس في باريس، حيث شاهد مجسماً مصنوعاً من الشمع لطفل مصاب بالسفلس، ورأى في الزيارة نفسها والدة تبكي طفلها. وفي إعطاء الطفل وضعيّة المسيح، منح مونش قداسة وألوهية لجسده المصاب بمرض كان يعدّ محرّماً حينها.

«ميراث» لإدوارد مونش (زيت على كانفاس ـ 141×120 سنتم ـ 1897/1899)

سيتا مانوكيان

◄ انحازت الفنانة اللبنانية سيتا مانوكيان إلى العذاب الفردي والجماعي خلال الحرب الأهليّة. بعيداً عن الخارج المتفسّخ، دخلت إلى المستشفيات لرسم معاناة المصابين جرّاء القصف بين سنتي 1975 و1976. أنجزت مجموعة من الاسكتشات السريعة بالرصاص والحبر لأجساد ممدّدة على الأسرّة. نرى عجزهم عن القيام بأي حركة كأن أجسادهم امتداد للفراش. في واحدة من رسوماتها تظهر قدما المريض الملقاتان على حافّة السرير بجوار عكّازين فحسب، أمام غياب متعمّد للجزء العلوي من الجسد متقصّدة بذلك التكثيف من حضور إصابته. تحوي اللوحات، إلى جانب وجوه الجرحى وأجسادهم العاجزة، فضاء المستشفى الذي يتوزّع على الأسرّة والطاولات وقناني المياه مثل لوحة «رجل مصاب» التي أنجزتها في الأشهر الأولى لبداية الحرب. في الحروب، حيث يكون الهرب من الموت، هو الهمّ الأكبر، تفقد الأجساد المصابة أهميّتها أمام أجساد الموتى. لكن في لوحاتها، تبدو سيتا مانوكيان كمن يقف بجوار الأجساد في رحلة علاجها، مقدّمة سرديّة خافتة وبديلة عن الحرب الأهليّة.

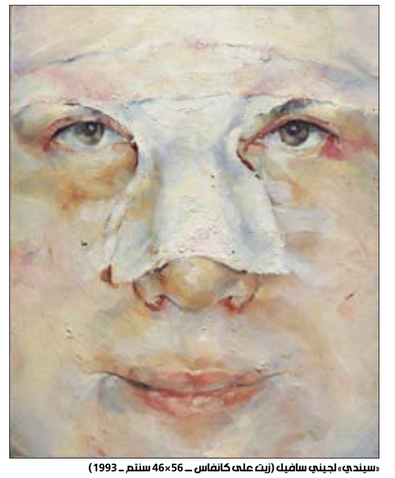

«سيندي» لجيني سافيل (زيت على كانفاس ـ 56×46 سنتم ـ 1993)

جيني سافيل

◄ تتقصّد جيني سافيل تشويه كائناتها فتلطّخ وجوهها بالدماء، وتدفع أجسادها بساديّة إلى الزجاج ما يضاعف من تكسّرها. تفوح من لوحات الفنانة البريطانية رائحة اللحم الذي يبدو كما لو أنه يندلق من أجساد نسائها البدينات عن سطح الكانفاس. ليس مستغرباً أن تخرج بكل ذلك فيما تخفي في استديو الرسم الخاص بها صوراً للتعذيب في سجن أبو غريب. لكن إصابات النساء تحمل التباساً، فيبدون أحياناً ضحايا، فيما تظهر أعطابهن كما لو أنها تهدم التنميطات الجماليّة لجسد المرأة. هذا ما نراه في لوحة «سيندي» التي تظهر وجه فتاة تلفّ أنفها بعد عمليّة تجميل. ضخّمت سافيل من أثر العملية، فجعلتها تبدو كما لو أنها خارجة من حلبة ملاكمة. هكذا يظهر الوجه كأنه يحمل دمويّة وعنف كل المقاييس الجماليّة المفروضة على المرأة مثل حجم الأنف والصدر.

«إديث شيلي على فراش الموت» لإيغون شيلي (1918)

إيغون شيلي

◄ رسم إيغون شيلي زوجته إديث قبيل وفاتها بوباء الإنفلونزا الإسبانيّة التي ضربت العالم عام 1918. كانت على فراش الموت، وتوفيت في اليوم التالي. في رسالة إلى والدته كتب شيلي: «أصيبت إديث بالإنفلونزا الإسبانيّة وبالتهاب رئوي حاد. إنها حامل في الشهر السادس، والمرض يشتدّ عليها. إنني أنتظر الأسوأ». رغم المرض الذي كان قد تمكّن منها، فإن الاسكتش لا يخفي فتنة زوجته. ظلّت فاتنة رغم شحوب وجهها وإغماضة عينيها. توقّع الفنان ما كان أسوأ فعلاً، إذ رحل بعد ثلاثة أيام جرّاء إصابته بالداء نفسه، حيث فاق البورتريه وجه زوجته فحسب، بل صار تجسيداً لمصيرهما معاً.

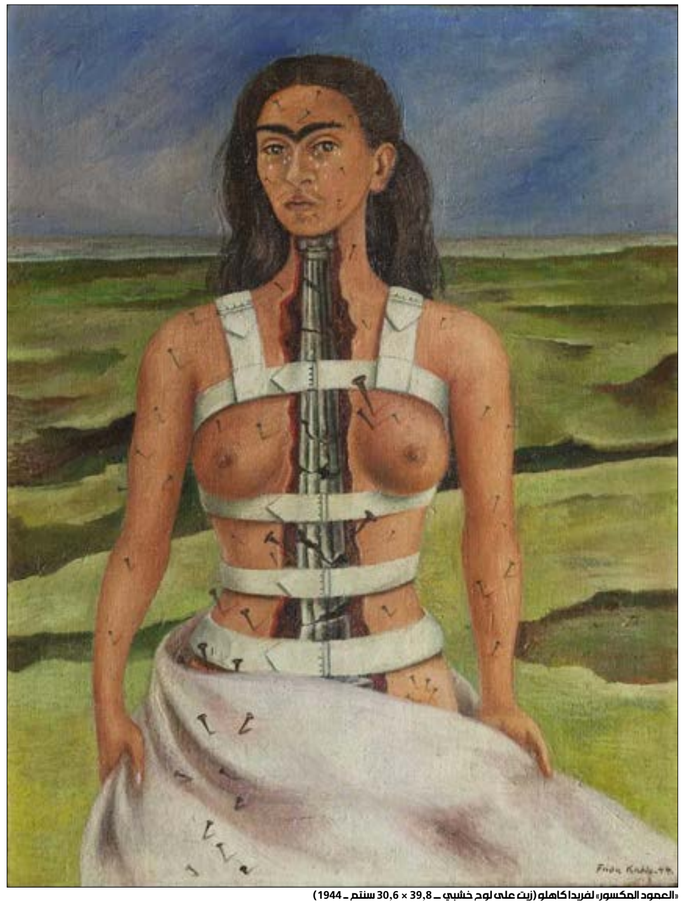

«العمود المكسور» لفريدا كاهلو (زيت على لوح خشبي ـ 39,8 × 30,6 سنتم ـ 1944)

فريدا كاهلو

◄ لم تتفادَ فريدا كاهلو التحديق في المرآة. ثبّتتها فوق سريرها، لئلا يفوتها شيء من جسدها المعطوب. ظهرت الأسياخ الحديدية التي تقصّ جسمها إلى نصفين، ربّما لم تظهر تماماً، لكنها رأت جسدها بوضعيّة واحدة طوال الأشهر الثلاثة الأولى التي تلت حادث السيّر الذي تعرضت له. عانت الفنانة المكسيكية من العلل الجسدية منذ ولادتها. في طفولتها، نمت قدمها اليمنى ببطء وضعف مقارنة بقدمها اليسرى، فاضطرّت أن تخفيها دائماً بجوارب. بعد الحادث، أخفت جسدها هذه المرة، بمشدّ من الجصّ كي يلتئم ظهرها. بالتزامن مع أوجاعها الدائمة الناتجة عن خضوعها لأكثر من 32 عمليّة جراحيّة، كانت الفنانة المكسيكية تكمل علاجها في رسم جسدها. بعد عمليّة أجرتها عام 1944، انتهت بها بأن ترتدي مشدّاً مصنوعاً من الحديد الذي نراه في لوحتها «العمود المكسور»، حيث ينقسم جذعها إلى نصفين، ويتمدّد الوجع إلى كلّ جسدها في المسامير التي تنخر كلّ بقعة من جسدها الذي ظلّ حاضراً في معظم لوحاتها، عبر تمثيلات بصريّة سوريالية لمعاناته.

«والدة الفنان تستريح» لوسيان فرويد (زيت على كانفاس ـ 105,4×127,6 سنتم ـ 1982/1984)

لوسيان فرويد

◄ تبدو كلّ الأجساد التي رسمها لوسيان فرويد مريضة، بسبب الحفر والنتوءات والترهّلات التي تصيب حتى الأطفال في لوحاته التي تبدو مرادفاً لعلل نفسية. هذا ما دفع مرّة أحد الذين رسمهم إلى إتلاف البورتريه بعدما أغضبه أسلوب فرويد في تظهيره. مثلما رسم بورتريها ذاتياً له بوجهه المتورّم بعد عراك، تفرّغ الفنان البريطاني لآلاف الساعات لرسم بورتريهات أمّه المستلقيّة على السرير. لطالما اعتبر الجسد الكهل كائناً ناقصاً، وفي لوحاته لها، أضاف إلى جسد والدته لوسي، مرضاً آخر هو الكآبة التي ألمّت بها لدى موت زوجها سنة 1970. بعد عامين، استخدم فرويد الرسم كوسيلة لمحاربة كآبة أمه التي استمرّت لأكثر من عقد، نتج منها 10 لوحات، وخمس رسومات ضمّتها سلسلة «والدة الفنان» منها «والدة الفنان تستريح» التي تستلقي في وضعيّة أقرب إلى الاستسلام وهي تلقي بنظرة فارغة ومثقلة إلى السقف.

الأخبار
al-akhbar
السبت 14 آذار 2020 العدد 4005

صورة وخبر

منذ أيام، يصادف المارّة في شارع الحمرا البيروتي «أبو علي». في ظل تفشّي فيروس كورونا المستجدّ في البلاد، يبيع الرجل كمّامات وقفّازات، من دون أن يتعدّى سعر القطعة ألف ليرة لبنانية. ولأنّ الوقاية ضرورية في مكافحة «كوفيد ــ 19» والحدّ من انتشاره، يقدّم «أبو علي» بضاعته مجاناً لمن لا يملك مالًا كافياً أو ضاقت به الأحوال! (مروان طحطح)

بين ديليفري و«ناولني»... «الحلبي» تقاوم الكورونا

التزاماً منها بقرار لجنة متابعة التدابير والإجراءات الوقائية لفيروس كورونا في مجلس الوزراء الصادر في السادس من آذار (مارس) الحالي والرامي إلى الحد من انتشار «كوفيد ـ 19» في البلاد، أعلنت «مكتبة الحلبي» (قصقص) عن إغلاق أبوابها في وجه الزائرين والزبائن، على أن تواصل خدمة التوصيل، داخل لبنان وخارجه. أما خيار «ناولني»، فهو متوافر لـ«الضرورة» للصحف اليومية والمجلات وطلبات الكتب السابقة. المكتبة البيروتية العريقة التي تسهم أيضاً في نشر التوعية عبر حسابَيْها على فايسبوك وإنستغرام، أكّدت في منشور أنّ جميع الكتب تخضع للتعقيم قبل توضيبها في كيس ورقي تمهيداً لتوصيلها. كما أنّها تقوم بـ«الإجراءات اللازمة داخل المكتبة»، ويتخذ عمّال الديليفري لديها «الاحتياطات الضرورية». تسري هذه التدابير الاحترازية حتى إشعار آخر، وتحثّ المكتبة الجميع على اتخاذ الاحتياطات الشخصية اللازمة التي أوصت بها «منظمة الصحة العالمية»، مشيرةً في الوقت نفسه إلى أنّ العمل فيها سيستمرّ «استثنائياً» من الإثنين إلى السبت، بين الساعة التاسعة والنصف صباحاً والخامسة بعد الظهر.

سلاح الأتراك... عطر الليمون

تهافت مئات الأتراك لشراء عطر الليمون المطهّر، وهو ماء كحولي معطر بالليمون، لمكافحة فيروس كورونا، بعدما أكدت السلطات أوّل حالة إصابة هذا الأسبوع. اصطف الناس في طوابير طويلة خارج المتاجر في العاصمة ومدن أخرى، وأحضر بعضهم زجاجات بلاستيكية كبيرة لملئها. وفي تصريح إلى «رويترز»، قال مراد أوراكلي، مدير متجر في أنقرة، إنّه يعتقد أنّ الدافع وراء شراء هذا المنتج التقليدي هو «الفزع». وأضاف: «يشتري الناس أكثر من احتياجهم، متصوّرين أنّ الكميات ستنفد». وعادةً ما يقدّم الأتراك عطر الليمون لزوّارهم لتطهير أياديهم وللشعور بالانتعاش. وتزامن هذا التهافت مع قيام فرق تطهير بتنظيف عربات وسائل المواصلات والطائرات والمدارس والمتاحف في تركيا.

النقابات الفنية: أوقفوا الإنتاجات

في ظل انتشار فيروس كورونا المستجدّ في لبنان وإعلانه وباءً عالمياً يشكّل تهديداً على الصحة العامة، وبناءً على قرار مجلس الوزراء بأخذ الحيطة والحذر وتجنّب التجمّعات في محاولة للحد من تفشّي «كوفيد ـ 19»، أصدرت النقابات الفنية في لبنان، أوّل من أمس بياناً تمنّت فيه على شركات الإنتاج الدرامي اتخاذ التدابير اللازمة في هذا الخصوص. وحضّت على «التوقّف عن العمل لمدّة أسبوعين على جميع الأراضي اللبنانية مع متابعة التطوّرات حفاظاً على صحّة الفنانين والعاملين» في هذه المشاريع. وفيما شكرت سلفاً كل من يتجاوب مع ندائها، ختمت النقابات بيانها بالعبارة الشهيرة: «درهم وقاية خير من قنطار علاج». والجهات الموقّعة على البيان، هي: نقابة الممثلين، نقابة محترفي الموسيقى، نقابة الفنيين السينمائيين، نقابة ممثلي المسرح والإذاعة والسينما في الشمال، نقابة شعراء الزجل، نقابة الفنانين المحترفين، نقابة محترفي الفنون التخطيطية والرسوم التعبيرية ونقابة الفنانين التشكيليين. تجدر الإشارة إلى أنّ لبنان يشهد حالياً تصوير مسلسلات عدّة، سيُعرض بعضها ضمن سباق رمضان 2020 وبعضها الآخر خارجه.

تخوض دانييلا رحمة السباق الرمضاني المقبل بمسلسل «أولاد آدم»

الأخبار al-akhbar

كلمات

ملحق أسبوعي

www.al-akhbar.com

السبت 14 آذار 2020
العدد 4005 السنة الرابعة عشرة
Samedi 14 Mars 2019 no 4005 14ème année

سلافوي جيجيك
كورونا آخر مراحل الرأسمالية

سعيد محمد

يقول الاقتصادي الفرنسي توماس بيكتي في كتابه «رأس المال في القرن الحادي والعشرين» بأن الفجوة الاقتصادية بين الأثرياء وبقيّة البشر ما لبثت تتسع في معظم فترات العصر الرأسمالي، ولم تعتدل سوى مرتين: خلال الحربين العالميتين. قبله، كان الأميركي فريدريك جيمسون أهم ناقدي الرأسماليّة المعاصرة قد اعترف أيضاً بالإمكانيّة اليوتوبيّة للكوارث الكبرى، حين تجد البشريّة نفسها في مواجهة حقيقة أن الجميع يبحر في وجه العاصفة في ذات المركب المثقوب.

سلافوي جيجيك (1949)، نجم روك الفلسفة في الإعلام الغربي، والمشغول هذه الأيّام بكارثة الكورونا، لم يتأخّر عن طرح الفكرة مجدّداً: قد يكون الفيروس العجيب اللحظة الحاسمة التي ستقضي على المنظومة الرأسمالية الفاجرة بعد أن يجد الجميع – وبثمن باهظ من آلاف وربما ملايين الإصابات – أن العالم لم يعد بإمكانه المضي بأدواته وطرائقه القديمة، وأنّ ثمّة تغييراً جذرياً ينبغي أن نقدم عليه كمجموعة بشريّة. وبالطبع عند جيجيك ـ كما دائماً ـ يجب أن ننتقل إلى الشيوعيّة. شيوعيّة جيجيك ـ مهما غلّفها بأوراق ماركسيّة حمراء ـ ليست حتماً الشيوعيّة الجذريّة بالمفهوم الكلاسيكي، بل هي نوع ملطّف هلاميّ غير محدد المعالم، يخضع لنظريّة الأواني المستطرقة، وبالتأكيد ليس عنيفاً ولا ثورياً، ويبدو أقرب إلى مهدئ أعصاب تتناوله البشريّة بعدما وصلت الرأسماليّة إلى نهاية الطريق، ومن النّوع الحنون الذي يتقبله مستهلكو الإعلام الغربي ـ المحكومون بالليبراليّة ـ واليساريون البرجوازيّون: قاطرة ماركس تقول بأن محطة التاريخ التالية بعد استنفاد الرأسماليّة لنفسها ستكون الشيوعيّة . اليوتوبيا. إذن، فلينزو كلّ منا في معزله المنزلي الذاتي مع أكوام من ورق التواليت والمنظفات والباستا، بينما نتابع على الهواء مباشرة وقائع وصول القطار إلى محطته التالية: يوتوبيا نهاية التاريخ. جيجيك يسمي تلك المحطة (الحتميّة) «الشيوعيّة»، مستفيداً بالطبع من الاستفزاز الثقافي الذي تحمله اللفظة في العقل الغربي بعد مئة عام من البروباغندا المضادة للمشروع الاشتراكي – بتجاربه المتعددة – ليستقطب جمهوره الأثير: طلبة الجامعات الغربيّة المراهقون المتمردون حكماً على كل سلطة أبويّة.

منذ نشر أوّل كتبه بالإنكليزيّة في 1989 وفي عشرات المحاضرات والنقاشات الاستعراضيّة التي قدّمها عبر العالم، تجنّب جيجيك دوماً تقديم أيّ توصيف محدد للبديل الذي يطرحه في مواجهة التأزّم الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للرأسماليّة المتأخرة. مستفيداً من قدرته الاستثنائيّة على الإمتاع والمؤانسة، والتّلاعب بالمصطلحات والسخريّة، هو قادر على الثرثرة لساعات من دون أن يقول شيئاً. في عزلته . متاهته الاختياريّة هذه الأيّام، وهو مهدّد شخصياً بالكورونا سواء لانتمائه لمجموعة عمريّة ليس بمقدورها تحمّل أعراض المرض (71 عاماً)، ويعاني من أمراض تنفسيّة مزمنة، ترافقاً مع منع السفر، وإلغاء معظم الأنشطة والمحاضرات العامة، بدأ يزيح النقاب أخيراً في مقالات أسبوعيّة ينشرها له موقع تلفزيون «روسيا اليوم» (بالإنكليزيّة) عن ملامح نظام جديد لما بعد الكورونا.

ويا ليته لم يفعل. شيوعيته الموعودة ليست بعد كل هذا الوقت سوى فاشيّة دوليّة جديدة، نوعاً من إمبرياليّة بلا عنوان بريدي محدد، إمبرطوريّة معولمة على نسق تهويمات أنطونيو نيغري ومايكل هاردت في ثلاثيتهم المشهورة «الإمبراطوريّة»، وبيروقراطيّة فوق السيادات المحليّة أشبه بمنظمة الصحة العالميّة وقد منحت صلاحيّات شرطيّ العالم، فكأننا صحونا فجأة لنجد أنفسنا على متن سفينة فضائيّة في مسلسل «حرب النجوم»: لا ندري كيف انتهت الرأسماليّة ووصلنا إلى الدولة الفاشيّة العابرة للكواكب، ولا نعرف تحديداً من يتّخذ القرار النهائيّ وراء الكواليس، على الأقل في منظمات الأمم المتحدة لدينا فكرة ما بشأن ذلك.

بالتأكيد، انعطافة كورونا تمتلك كلّ المؤهلات لتكون نقطة تحوّل في مسار التاريخ، ولم نكن . كمجموعة بشريّة ـ أقرب إلى الاعتراف بفشل النظام العالمي الحاليّ وعجزه البنيوي عن التعامل مع الأقدار منا اليوم. لكنّ الإطار النظريّ للانتقال نحو الإطار البديل، يوتوبيا الحقبة التالية، بحاجة لأكثر بكثير من تهريج جيجيك وفاشيته المستحدثة. في الحقيقة، هذا السلافوي العجوز جزء أساس من «القديم» الذي يواجه الموت، ولم يعد لديه – من متاهة عزلته الأخيرة - ما يقدّمه للعالم الجديد الشجاع الذي لم يولد بعد.

ملف

عن عشق امتلاكها إلى الأبد تعالوا نتحدّث عن قراصنة الكتب!

ماذا بخصوص لصوص الكتب. الا يستحق هؤلاء المهووسون التفاتة جانبية؟ يُخفي معظم مرتادي المكتبات ومعارض الكتب العربية ذكرياتهم عن كتب سرقوها، او عن طريقة «لطشها». فيما يشكو باعة الكتب من أزدياد حدّة هذه الظاهرة، من دون ان يجدوا وسيلة للتغلّب عليها. فاضطروا إلى التعامل معها بوصفها ضريبة إجبارية. هناك حكايات لا تُحصى عن سرقة الكتب، ليس بين الغرّاء المجهولين فقط، وإنما بين الكتّاب انفسهم، إذ لا تخلو مكتبة شخصية من كتاب تسلل اليها عن طريق خفّة اليد او الاستعارة الملغومة. في كتابها «الرجل الذي احبّ الكتب كثيراً» (2010)، تقتفي الكاتبة الاميركية اليسون هوفر بارتليت أثر المدمنو جون جيلكي، اشهر قراصنة الكتب النادرة في اميركا. وتجري معه حواراً عن هوسه بسرقة الكتب، الهوس الذي قاده إلى السجن اكثر من مرّة، من دون ان يشعر بالذنب. كما تتعرّف إلى احد ضحاياه، وهو صاحب مخزن للكتب النادرة يُدعى كين ساندرز الذي تحوّل إلى رجل مباحث هاوٍ بقصد القبض على هذا المجرم. هكذا استقع على قصة حقيقية عن سارق كتب متسلسل، وصاحب مخزن للكتب النادرة، في مطاردة محتدمة، تشبه لعبة القط والفار. لا تكتفي اليسون بارتليت بهذه الحبكة البوليسية، إنما تنهمك بتوثيق تاريخ سرقة الكتب عبر العصور وجمعها، والتنقيب عن سرّ هذا الشغف او العشق، وسحر عمل الحواس في الرؤية واللمس والشّم. يعترف جون جيلكي انه مهووس بسرقة الكتب النفيسة، بإغواء النقوش، والحواف الخشنة للصفحات، الطبعات الاولى النادرة، من دون ان يهتمّ بقراءتها (جرّبت ان اقرا رواية «لوليتا» لنابوكوف، ولم اكملها، رواية مثيرة للاشمئزاز) يعترف. كانتا حيال نسخة ثانية معاصرة من «الجريمة والعقاب». لذلك، تبدو ورطة الكاتبة كبيرة وهي تغوص في تاريخ هذه الكنوز، في محاولة لتفكيك ألغازها، بسردية تمزج التحقيق الصحافي الاستقصائي مع ادب الجريمة. بهوامش كثيرة تحتوي عناوين أهم الكتب التي اقتناها هذا اللصّ. ما يفتح شهية القارئ على قراءة هذه العناوين التي اغوت جون جيلكي كي يخوض هذه المغامرة الخطرة التي ستودي به إلى «فتنة قاتلة». طبعات نفيسة من كتب قديمة، واخرى حديثة، في مزادات مفتوحة، وجولات محمومة في اسواق الكتب المستعملة «بعدما انهيت جمع المعلومات عن اللص والبائع وتجارة الكتب النادرة، وجدتُ ان الحكاية لا تتعلق بمجموعة من الجرائم فحسب، بل بعلاقة الناس الحميمة والمعقّدة والخطيرة احياناً مع الكتب. تناوب عشاق الكتب المثقفون مع محتالين جشعين في عالم الكتب النادرة على مدى قرون من الزمن» تقول. هنا مقاطع من الرواية التي ترجمتها إلى العربية حنان علي، وستصدر قريباً عن «دار المدى»

تقديم **خليل صويلح**

سالفادور شيا ــ «اللص» (1989 ــ 1990)

كفراشة يجذبها اللهب

أهلّ نهارُ الثامن والعشرون من نيسان عام 2005 مشرقاً بربيع معتدل في أنحاء نيويورك، المدينة التي لاحت بدورها مترعة بالوعود الندية عند مفارق بارك أفينيو وشارع السادس والستين الشرقي، حيث احتشد الناس مبتهجين، مترقبين افتتاح معرض نيويورك للكتب الأثرية، متشوّقين لبدء البحث عن الكنوز . يقام المعرض السنوي في «بارك أفنيو أرموري»، المبنى الأثري العتيق بأبراجه ذات التيجان والبوابات العالية، والتي وصفها احد المؤرخين أنها عظيمة بما يكفي لدخول وخروج أربع قوافل من المبنى. لم أحظ بالمرور بمثل هذه القوافل حين وصلت، لكنني تعثرتُ بدفق دؤوب من أناس متعطشين للكتب عابرين للأبواب، متحمّسين، عساهم يلمحون مرادهم، ويتلمسون طرائدهم: سواء أكانت باكورة الطبعات الحديثة، النصوص الموشحة بالمنمنمات، الثقافات الأميركية، كتب القانون، كتب الطبخ، كتب الأطفال، كتب تاريخ عن الحرب العالمية الثانية، أو مخطوطات (لاتينية منها «منذ المهد» أو الكتب العائدة لفاتحة الطبعات بين عامَي 1450 حتى 1500)، إلى جانب الكتب الفائزة بجائزة «بوليتزر»، التاريخ الطبيعي، الأدب الإيروتيكي؛ مع إغراءات كثيرة لا تعد ولا تحصى.

عزّز حراس الأمن مواقعهم في الداخل استعداداً للشرح مرة ومرتين للتنبيه إلى وجوب التخلّي عن جميع المحافظ باستثناء أصغرها عند تفتيش المعطف. أشرقت الأضواء العلوية ساطعة وحارة كأنها إضاءة مسرح، بما أحالني ممثلة تتجول فوق الخشبة بلا نصّ او جمهور. لا أزال أحمل منذ مراهقتي شغفاً لدوداً لزيارة سوق السلع المستعملة، حيث أجوس بالقطع الجذابة والمثيرة للاهتمام. أما آخر مقتنياتي، فكانت حقيبة طبيب قديمة استخدمتها كحافظة نقود، مع تشكيلات خشبية ترمز لمعدات الملاحة، معلقة الآن على جدار في منزلي، يضاف إليها مجموعة أدوات لإصلاح الساعات القديمة، إلى جانب قوارير زجاجية ذات حجم ضئيل للغاية. (أما خلال فترة مراهقتي، فقد ابتعثُ بعض المجوهرات المزيفة، مع أشرطة تسجيلية ذات ثماني بكرات، وضعتها في مسجلة شاحنة عشيقي). إن معرض الكتاب مختلفٌ تماماً عن تلك الأسواق. إنه هجينٌ ومزاد، محشو بالكتب التي تقدّر قيمتها بملايين الدولارات، ومجموعات رق تفوق تصورات أي وزّاق. يطارد هواة جمع الكتب أجنحة محددة، بينما يعدّل الباعة معروضاتهم فوق الأرفف مع عيون شاخصة على الموجودات الأكثر قيمة، والمحمية ضمن علب زجاجية متلألئة. حتى إنهم وضعوا بعض البضائع على وجوه طاولات العرض، حيث يمكن لأيّ شخص عابر أن يلتقطها ويتصفحها. يبدو أن الجميع - باستثنائي - يعرف بالضبط ما الذي يرنو إليه؛ حيث لا يشابه مرادي حالهم حين يبحثون عن الطبعات الأولى أو المخطوطات المزخرفة. بالرغم من محبتي لقراءة الكتب، وتقديري لسحرها الفتان، لكنني مع ذلك، لا أهوى جمعها. لم أتجول، في الواقع، عبر المعرض إلا لفهم ما الذي يدفع الآخرين للقيام بذلك. أردتُ الخوض في عالم الكتب النادرة عن قرب، بعاداته وطقوسه الغريبة تماماً عني. مع أمنية - وأنا متأكدة أن كل شخص في هذا المعرض يتمنّاها - تتمثل في كشف سر أولئك الذين يقودهم شغفهم إلى سرقة الكتب التي يحبونها.

تحقيقاً لهذه الغاية، أتيتُ إلى هنا لمقابلة كين ساندرز، بائع الكتب النادرة في مدينة سولت ليك والمقلب بالشرطي السري، بعد حديثي المطوّل معه عبر الهاتف والذي أجريناه قبل فترة من الزمن. يتمتّع ساندرز بسمعة طيبة كرجل يتلذذ بالقبض على لصوص الكتب، كشرطي احتفظ بقدراته لسنوات من دون مساعد، إنه يستمتع في الوقت نفسه بأي فرصة لمشاركة قصة جيدة يرويها للآخرين. قمت بالاتصال به قبل اسابيع قليلة استعداداً لاجتماعنا، ليخبرني خلال محادثتنا الأولى عن ريد جاكوار غاي، الذي سرق منه نسخاً قيمة من كتاب المورمون المقدّس، كذلك حدثني عن اليوغوسلافيين المخادعين، الذين ساعد مكتب التحقيقات الفيدرالي في تعقبهم في إحدى عطل نهاية الأسبوع. كما أشار إلى عصابة في محطة وقود إيرلندية، كانت تعقد صفقات وهمية بشكل دوري مع الباعة عبر الإنترنت، لتقوم بشحنها إلى محطة وقود في إيرلندا الشمالية. لكن هذه القصص برمتها حكاياتٌ أولية استهلالية لقصة كبرى وقعت أحداثها بعد مباشرة ساندرز العمل كمسؤول أمن متطوع في الجمعية الأميركية لباعة الكتب النادرة عام 1999. باختصار، اقتصرت مهمته حينها على تنبيه زملائه باعة الكتب، كلّما تناهى إلى سمعه هوية لص ما، بما يتيح لهم فرصة البحث عن كتبهم المفقودة. كان عمله في البداية محدوداً، حيث يتلقى رسالة بريد إلكتروني أو مكالمة هاتفية حول سرقة ما كل بضعة شهور، ليعيد توجيه المعلومات لزملائه على الفور. لكن حوادث النهب ازدادت مع مرور الوقت. لم يستهدف السارق جنساً محدّداً من الكتب، ولم يكن نمط السرقة متماثلاً، إلا أن عمليات السطو بمعظمها تمت عبر الاحتيال باستخدام بطاقات الائتمان. لم يعلم أحد شيئاً عن السارق، هل كان ينفذ جريمته وحيداً؟ أو أنهم عصابة مكونة من أفراد كثيرين؟ سمع ساندرز من أحد الباعة في خليج سان فرانسيسكو أنه فقد مذكرات عائدة للقرن التاسع عشر، بينما أفاد آخر من لوس أنجلوس في الأسبوع الذي يليه عن خسارة الطبعة الأولى من «حرب العوالم» للكاتب هـ. هـ. ويلز. هكذا وجد ساندرز نفسه يقضي زمناً يتضاءل أكثر فأكثر في متجره، ليسحله الوقت في محاولة معرفة ما يجري «بحق الجحيم».

حادث غريب للغاية أودى بساندرز للاندفاع صوب «معرض كاليفورنيا الدولي للآثار»، الذي عُقد في سان فرانسيسكو عام 2003، في «مركز كونكورس للمعارض»، داخل مبناه الباهت على هيئة مستودع، الواقع بجوار مركز التصميم الخاص بالمدينة، على بُعد بنايات عدة من سجن المقاطعة. بين معارض التراث الوطنية وسجن المجرمين، يبدو أنه موقع مناسب للغاية. ضم معرض المدينة - الأكبر في العالم - نحو مئتين وخمسين بائعاً للكتب، إضافة إلى عشرة آلاف مشارك. إنه «المخزن الكبير الذي يدوم إلى الأبد»، على حد تعبير ساندرز.

في يوم الافتتاح، أصيب هواة الجمع وباعة الكتب بقلق الاحتمالات كعادتهم، في حين تجول ساندرز بخطى حثيثة حذرة عابراً أجنحة الكتب، حيث كان محاطاً ببعض من أفضل العروض من أمثال: «استراتيجية السلام» يقلم جون ف. كينيدي، والطبعة الأولى من كتاب «المورمون». لكن عقله لم يكن منساقاً خلف الكتب على الإطلاق.

قبل عدة أيام من المعرض، بينما كان جالساً في مكتبه في مدينة سالت ليك، مطوّقاً بأكوام الكتب والوثائق المغبرة، تلقى ساندرز مكالمة هاتفية جاءته من أحد المحققين في سان خوسيه في كاليفورنيا. أخبره المحقق أن اللص الذي أمضى ساندرز ثلاث سنوات في محاولة تعقبه تم تحديد هويته (ليدرك ساندرز في الحال أن الفاعل كان سارقاً منفرداً، وليس عصابة). إنه المدعو جون جيلكي، الذي يقيم في سان فرانسيسكو. ثم تلقّى ساندرز قبل يومين من المعرض صورة فوتوغرافية لجيلكي. لطالما تخيّل هيبيين مسنين، أو من مقتني الكتب المنفقين أموالهم لاهثين وراء شغفهم. راقبتُ أحدهم يركن سيارة حمراء اللون من نوع «بورش» محاولاً الحصول على إحدى نسخ الطبعة الأولى من كتاب «شكوى بورتنوي» لفيليب روث. يمكنك ملاحظة الزبائن مع أيّ من هذه الكتب العتيقة، حين يقومون بحملها نصف مفتوحة بكلتا أيديهم، في محاولة لتفادي تصدّع متن الكتاب، أو التسبب بالمزيد من الأذى من تمزق أو طيّ أو انسكاب للقهوة، مستعينين بأدلة وخرائط من أرض المعرض، متفحصين عبر نظاراتهم أركان الأجنحة، أملاً أن تقع أبصارهم على إحدى نسخ الطبعة الأولى من كتاب «هاري بوتر وحجر الفيلسوف» لجوان رولينغ سواري مثلاً، والتي طُبع منها ما لا يزيد عن خمس نسخ، لتباع بقيمة ثلاثين ألف دولار. أما أولئك الذين لا يحبذون الإسراف، فتراهم يطاردون الكتب الحاصلة على الجوائز، والمعروضة بأسعار «المحبوبة» لتوني موريسون، والتي شُفرت بمئة وخمسة وعشرين دولاراً، أو الكتب الأقل ثمناً، كالنسخة الأولى من رواية «الأرنب الثري» للكاتب جون أبدايك بقيمة خمسة وأربعين دولاراً؛ تلقاهم هائمين بين الأجنحة يهجسون بمفاجأة سارة وبحلم المنقّب عن الكنز أن يتعثروا بكتاب ذي ندرة أو جمال أو تاريخ أو أصل عتيق، سيمسي أكثر إغراء من الحكاية المطبوعة بين دفتيه.

من الواضح أن فتنة أي كتاب في معرض كهذا، تتكئ بمعظمها إلى الإغراء العاطفي. لا بد أن هواة جمع الكتب يتذوقون الكتب بأعينهم، بأيديهم وأنوفهم. لمحتُ رجلاً إنكليزياً يضع فنجان قهوته على مسافة آمنة من المنضدة، قبل أن يستنشق نسخة من كتاب «مغامرات اليس في بلاد العجائب»، ليتهاوى بعدها في حفرة الأرنب الساحرة التي حفرها جون تينيل عميقاً بريشته فوق الورق. ظننتُ أنه يحب عبق الكتب القديمة، لكنني عرفتُ لاحقاً أن الاستنشاق ليس سوى إجراء عملي لتفحص الكتاب، فالعفن يمكن أن يدمر كتاباً، نفحة عميقة تكفي للإخبار عن خطر محدق من هذا النوع. أثناء التجول من جناح إلى جناح، عبر التنقل من كتاب إلى آخر، راودني الإغراء العاطفي ذاته، غمرتني النشوة مع تلمس حواف الصفحات الحادة، بالشعور الحار بفتنة الطراز، بأغلفة الكتان المشدودة، بجلد الخنزير، بأريج الورق العتيق. في أبحاثي السابقة عن المعرض، تعلمت أن العشق ليس للكتب النادرة فحسب، إنما لامتلاكها إلى الأبد، رغبةٌ بدأت قبل خمسة وعشرين قرناً ولا تزال على قيد الحياة حتى اليوم. إذ تم التهكم على يوريبيدس في عام أربعمئة قبل الميلاد بسبب نهمه للكتب. بعد سنوات عدة، أشار شيشرون قائلاً: «ادخر دخلي الضئيل كله لإثراء مجموعتي».

إدغار آلان بو وتيمورلنك

لا تزال إحدى الحكايات عالقة في ذهني، قصة تعود ليوم ربيعي من عام 1988. في صباح ذلك اليوم، قام رجل من ولاية ماساتشوستس مهووس بجمع كتب عن التاريخ المحلي بالتفتيش داخل صندوق في مخزّن أثري في نيو هامبشاير حين لفت انتباهه شيء ما. وجد أسفل النصوص المختصة بالأسمدة والآلات الزراعية كتيباً نحيلاً مُلَبساً بغلاف ورقي بلون الشاي، يحمل عنوان «تيمورلنك وقصائد أخرى»، لمؤلف لم يُذكر اسمه، لكن تم التعريف عنه ببساطة على أنه «من بوسطن». كان واثقاً إلى حدّ ما أنه وجد شيئاً استثنائياً، دفع للحصول عليه خمسة عشر دولاراً، ثم عاد إلى المنزل، حيث سيقضي تيمورلنك ليلة واحدة هناك. قام بعدها الرجل في اليوم التالي بالاتصال بشركة «سوثبي» التي أكدت له شكوكه بأنه حقّق للتو أحد أكثر اكتشافات الكتب إثارة خلال السنوات الماضية. كان الكتيب مجرّد نسخة تتضمن النص الأول لإدغار آلان بو الذي كتبه في عمر الرابعة عشر فقط، وهو اكتشاف لا يمكن لأيّ باحث محظوظ تخيل حدوثه أو الاعتراف به. نُشر الكتيب الصغير ذو الأربعين صفحة في عام 1827 من قبل كالفين ف. س. توماس، وهو ناشر غير معروف نسبياً في بوسطن، متخصص في الملصقات الطبية، بسعر أصلي لم يتجاوز اثني عشر سنتاً. لكن هذه النسخة التي حافظت على جودتها لمدة مئة وواحد وستين عاماً، والتي ربما أضنى غيرها الرقود في صندوق علوي مترب لسنوات طوال، سيتم بيعها قريباً بمبلغ مئة وثمانية وتسعين ألف دولار. إن نسخة تيمورلنك التي لم تتسبب في أي ضجة حين تم نشرها للمرة الأولى، ولم تتم مراجعتها أو نقدها أبداً، لا علاقة لقيمتها المادية بأي جدارة أدبية، لكنها ارتبطت بشخص المؤلف. كل نسخة جديدة يتم العثور عليها، تمنح زيادة جديدة في السعر. أما عدد نسخ تيمورلنك التي تمت طباعتها عبر التاريخ، فتراوح بين خمسين إلى خمس مئة نسخة، أعلنت أربع عشرة نسخة منها عن نفسها حتى الآن، ومعظمها محفوظة في المؤسسات العامة.

> تقتفي الأميركية اليسون هوفر بارتليت أثر لصّ الكتب الشهير جون جيلكي في عمل يمزج بين التحقيق الصحافي الاستقصائي وادب الجريمة

الوكلاء، أو القيام بطباعة ملصقات عنه لتُعلق على أبواب المعرض. لكن ساندرز أعاد النظر بالأمر، فقد يتم استدعاء ضحايا جيلكي جميعاً يوماً ما للتعرف إليه، الكثير منهم في الواقع، موجودون هنا في المعرض. لم يرغب ساندرز بالمخاطرة بإفشال العملية، كل ما يمكن فعله الآن البقاء متيقظاً، متسائلاً إن كان جيلكي وقحاً بما يكفي للتجرؤ على الحضور إلى المعرض: «أظن أنه سينجذب إلى هذا المعرض المتميز، كانجذاب الفراشة صوب اللهب، سيقصد المكان لسرقة الكتب».

فتنة الكتب

تابعت الطواف حول المعرض، بدا الباعة الذين قابلتهم أكثر حماساً بذكر الخبير الخاص ببرنامج «معرض التحف» مقارنة بالحديث عن آل باتشينو. لاحظت مع ذلك، أن كلّ رجل شاب يعبر بجواره يحلم بنجوميته السينمائية أيضاً. مع هذا، من المؤكّد أن آل باتشينو منسجم مع الحشود أفضل مني، أنا المرأة العابرة. لا يزال هواة جمع الكتب يشكلون نسبة عالية من الرجال الذين تجاوزوا الأربعين عاماً. بدا الكثير منهم علماء أو شكل اللص فيما مضى، لكن هذا الرجل لا يشبه ما جال في ذهنه على الإطلاق.

«يمكنني إعلامك بأمر واحد» قال: «لا أجده مشابهاً لموبارتي»، مشيراً إلى الشخصية الخيالية التي أطلق عليها شارلوك هولمز «نابليون الجريمة».

لقد عكست الصورة رجلاً عادي المظهر في الثلاثينيات من عمره، ذا شعر داكن قصير بتسريحة جانبية، يرتدي سترة بلون أحمر تحت قميص ذي أزرار بيضاء، أما ملامحه فتشي بتعابير يائسة أكثر من كونها متوعدة.

كان كين لوبيز، صديق ساندرز وبائع كتب في ماساتشوستس، طويل القامة ذا شعر متدلٍ حتى الكتف، يحمل علبة سجائر من نوع «كاميل» في جيب قميصه، الضحية الأخيرة لجيلكي على حدّ علمهم. (لقد طلب منه الطبعة الأولى من «عناقيد الغضب» لجون شتاينبك). فكر ساندرز ولوبيز قبل افتتاح المعرض بفترة وجيزة، بتوزيع صورة جيلكي على جميع

قصة

صنعاء (تصوير محمد حوّاص، وكالة فرانس برس ــ 2017)

حياة بلا ثقوب

وجدي الأهدل *

هذا الرجل الرائع لا يدفع تكاليف المسكن الذي يقيم فيه، لأنه ببساطة قرّر أن يعيش في كرتون مصنوع من الورق المقوّى البنّي اللون.

ليس له جيران من النوع المعتاد، فالفيلا التي يقطن فيها تقع في شارع المطاعم، وهو شارع فرعي مسدود، قذر، ومزدحم في الصبح والمساء، ودائماً هناك صياح وضجيج لا يهدأ يصدر عن جيرانه، وهم أصحاب المطاعم ومحالّ بيع الشاي بالحليب.

غالباً ما ينام حتى الضحى، وعندما يخرج الطلاب من الثانوية المجاورة في فترة الاستراحة ليتناولوا إفطارهم أو لشرب الشاي بالحليب؛ فإنه يُبدي رأسه من الكرتون، ليتفادى تعرّض كرتونه لركلات طائشة من أولئك الصبية الوقحين، الذين يزعجهم استغراقه في نوم لذيذ.

يخرج من كرتونه ببطء شديد، وكأنه ورقة تخرج من شرنقة، فيبدأ أولاً بإخراج رأسه مغمّضاً عينيه، ثم يفتحهما على مهل، كأن ضوء النهار يسبب له ألماً لا يطاق، وبعد حين يحدّق المكان ببهم واهن محاولاً التعرّف إليه، وبالذّ جهداً إضافياً لتذكر من هو؟ وكيف وصل إلى هنا؟؟

يسحب صدره إلى الخارج، ويتكئ بمرفقه على دكة إسمنتية ضيقة، وانذاك ينتابه إحساس بالغبطة لوجود تلك الدكة، إذ لولاها لما تسنّى له النهوض من فراشه، وهو في جلسته الملوكية تلك، ودون أن يتفوّه بكلمة، يحضر له نادل ذو شفة أرنبية كأس الشاي بالحليب المملوءة إلى نصفها «الدبل».

كثيرون يمرون ويلقون عليه التحية، فيرد عليهم والبشاشة الصادقة تمرح في وجهه. يتأمل الناس في غدوهم ورواحهم، ويشعر بالحزن لأجلهم، وخصوصاً حين يسمعهم يتحدثون عن غلاء المعيشة، وارتفاع إيجارات المساكن، وفواتير الماء والكهرباء والهاتف المرهقة للجيوب.

يراهم مقطبين، قلقين، منزعجين، والهم يرسم زواياه الحادّة على سحناتهم، والتجاعيد تتكاثر وتشرخ صورهم، والاضطراب يتغلغل تحت الجلد، فتنطفئ نظرة العيون، وتنخسف الجباه العالية، وتغور البسمات السعيدة.

هو وحده يعرف سر نجاته من هذه التحولات المرعبة للوجه البشري... لأنه ورغم بلوغه الأربعين عاماً، ووجود تلك اللحية السوداء المسترسلة، ما زال وجهه طفولياً وعيناه بريئتين. ولأنه لا يحمل في جيبه مالاً، صار مستغنياً عن كل أحد. التفكير في المال لا يشغله، لذلك يرى نفسه أغنى من كل أغنياء المدينة... لأنه من منهم - أي الأغنياء - بلغ من الثراء حداً لم يعد معه يفكر في المال؟!

لكن من أين يعيش راتخم الأصيل؟ كيف يدبّر ثمن وجباته؟ طبعاً هو يدفع ثمن الطعام الذي يتناوله، والشاي بالحليب الذي يشربه، فهو لا يستجدي أحداً، ولا يقبل إحساناً من أي كان... ولذلك يقوم بجولات عديدة على قدميه لجمع قناني المياه البلاستيكية في كيس نايلون كبير جداً، ثم يبيعها إلى محال العصائر. ويدخل ضمن نشاطه أيضاً جمع الكراتين وأطباق البيض. ويوفر له هذا العمل الشبيه بجمع الثمار من الغابة زمن الأقوام البدائية، ثمن المأكل والمشرب، وأحياناً ثمن ربطة القات «الصوطي». قلبه ينبض براحة، ولا شيء تقريباً يشغل باله. عندما يخرج من غرفة نومه الصغيرة جداً، وينهض متمطّياً كالقط، يبدو فارع القامة، عريض المنكبين، قوي البنية، وخصره دقيق وبطنه ممسوح، كأنما هو فارس ضائع في زمن يخلو من الفروسية. شعره أسود فاحم يصل إلى كتفيه، ووجهه الطويل فيه ملاحة ورجولة مؤثرة. كيف لا يكون مثل هذا العملاق بوسامته اللافتة ورجولته الطاغية شخصية بارزة في المجتمع؟!

من المفارقات أن غالبية الشخصيات التي تدير شؤون المجتمع في وقتنا الحاضر هي من قصار القامة، وتبزغ من الشاشات بطلة قبيحة وبجماجم خالية من الشعر مثلي أنا... شيء محيّر فعلاً!! يبدو لنا العالم الذي يعيش فيه راتخم الأصيل محدوداً للغاية، وخالياً من الإثارة والتغيير، وأن أيامه كلها متشابهة، وأنه يُمضي أوقاته على نحو روتيني مملّ. لكن هذا التصور خاطئ تماماً، لأنه لا يمر عليه أسبوع من دون أن يتشاجر مع عناصر البلدية الذين يحاولون طرده من مكانه، أو مع آخرين لا يعجبهم وجوده بقربهم، أو متشردين أفظاظ يحاولون سلبه نقوده القليلة التي يُحصّلها بعرق جبينه. وقبل سنوات عرضت عليه امرأة أرمل تملك بيتاً أن يتزوجها، ولكنه رفض عرضها المغري من دون أن يرف له جفن. وأما الأعمال التي عُرضت عليه ورفضها، فأكثر من أن تُحصى. لم يكن يقبل بأن يتآمر عليه أي رب عمل مهما أعطاه من مال. كان يريد أن يبقى سيد نفسه... وهو ما كان.

راتخم الأصيل له أصدقاء كثيرون، أغلبهم متشردون مثله، يهيمون على وجوههم في الحارات بلا مأوى معظم أيام السنة، والقليل منهم يموت في ذروة البرد. حين يقبل ليخزن القات، يلتف حوله عدد منهم، ويتبادلون أحاديث لطيفة.

أحياناً تخطر المرأة ببال راتخم الأصيل فيبتسم ويغرق في تخيّلات ممتعة، وتراوده أحلام يقظة ساحرة: يتخيل شابة حسناء، هيفاء القد، بشرتها كالحليب، تهيم به عشقاً... يتصورها تراقبه من نافذة غرفتها حين يمر من الشارع الذي تسكن فيه، يتخيل رعشة قلبها حين تراه، وكيف تهرع أن يغيب عن ناظرها إلى الورقة والقلم لتسكب مشاعرها في قصيدة شعر مترعة باللوعة وعذاب الفراق! ثم يتنهّد ويشعر بالأسى على حال تلك الفتاة المهووسة بحبه! هكذا هو منسجم مع نفسه، فلا حاجة له بعد ذلك إلى امرأة حقيقية من لحم ودم تعكّر عليه صفو حياته!

قرب منتصف الليل تهدأ الحركة في المقهى المجاور، وتغلق المطاعم أبوابها، وترف الأرواح الهائمة قريباً من الأرض، حتى لتوشك أن تلامس الرؤوس. في هذا الوقت المتأخر، يقوم راتخم الأصيل بجولته الختامية، ويجمع القناني البلاستيكية من تحت المقاعد والطاولات، ومن بين المواسير والحفر، ومن أماكن أخرى متفرّقة أمسى يعرف بخبرته الطويلة أن سمار الليل سيتركون فيها بقاياهم. لكنه قبل أن يأوي إلى مهجعه، كان يحرص على عادة تأصّلت في نفسه بمرور الأيام، ولم يعد يقدر على قطعها: كان يصرف ما في جيبه من نقود حتى آخر فلس، على نفسه وعلى أصدقائه المُعدمين. ولمّا يتأكد من خلو جيبه من «وسخ الدنيا» حينذاك فقط يتنفّس مطمئناً، ويدخل إلى جوف كرتونه مرتاح الضمير، وفي ثانية ينام.

;;;

جلس أحدهم في المقهى وفتح محفظته، فتدحرجت منها كرة نارية ملتهبة، وزنها خفيف كالريشة، فأخذت الريح تلعب بها، فإذا هي تنطّ من مكان إلى آخر في غمضة عين. خشيت على بيتي الكرتوني وأسمالي العتيقة وكومة القناني البلاستيكية من أن تلتهمها النيران، فوقفت بالمرصاد لتلك الكرة العابثة. وخوفاً من احتراق المقهى ركلها أحد العاملين عالياً جداً، فاستقرت هناك فوق رؤوسنا وقالت أنا الشمس، ثم انهمرت حرارة الصيف.

لجأ رؤاد المقهى إلى الأماكن الظليلة وانشغلوا بتجفيف عرقهم، بينما عدت أنا إلى موضعي السابق، أرشف الشاي بالحليب بمزاج رائق شاعراً بالأمان. استرخت القطط تحت الكراسي والألواح الطويلة المخصصة للجلوس، وكفّت عن ملاحقة الفئران. من مذياع المقهى سمعنا نشرة الأخبار الصباحية، وردت فيها قرارات رسمية تثير الإعجاب، منها أن يسقط المطر! ردّد الواقفون في انتظار دورهم لشراء الشاي بالحليب، والجالسون بلا دور خلف المذياع بحماسة منقطعة النظير: يسقط يسقط يسقط!

رأينا واحداً قد بلغ الخمسين، له ملامح قاسية، قصير القامة، ويبدو عليه أنه يحتل مركزاً مرموقاً، يسحب كرسياً وينتحي جانباً، حيث اختار الجلوس تحت طربال أزرق، وبيده كأس الشاي بالحليب. كان يبتسم بخبث، لأنه الوحيد الذي استمع إلى نشرة الأخبار وادرك مغزاها، فاتخذ مبكراً التدابير اللازمة. واستجابت السماء لأوامر الحكومة وكأنها مواطن صالح، فأخذت تمطر بغزارة، والرياح تصفّق بعنف، والرعد يدوّي في الأعالي ويزأر كأسد جائع.

بسرعة تجمّع الماء في وسط الطربال الأزرق، وكلما ضربت الريح بزعانفها، كان الماء يندفع من أحد الثقوب، ويهبط كشلال هادر على صلعة الرجل الخمسيني، الذي حافظ على وقاره وصلابة ملامحه من دون تأثر يذكر بالبلل الذي أصابه. استغربت كثيراً موقف هذا الكهل الذي يبدو موظفاً رفيع المقام ورب أسرة ناجحاً، وعجزه عن تغيير موقعه، واستسلامه للبلل بتلك القدرية المشؤومة. ما الذي يجبره على البقاء حيث هو؟ لماذا لا يحاول البحث عن موضع أفضل؟ وبدلاً من أن يسعى إلى جهة أخرى في المقهى تقيه البلل، رأيته يحدق بثبات وتحدّ في ثقب الطربال، في عين الفتحة، غير عابئ بالماء الذي كان يطشطش فوقه بين الحين والحين كلما عنّ للريح أن تتلاعب بالطربال الأزرق وتهزّه لتدلق ما تجمّع في جوفه من ماء عكر. ربما هو العناد الذي أبقاه في مكانه.

حدستُ بأن حياته ذاتها لا تخلو هي أيضاً من ثقب مماثل. منذ سنوات وأنا أراه يتردّد على المقهى مهيباً يرفل في بدلات أنيقة، فاتمنى في سري لو أكون مثله... ولكنني بعد أن اكتشفت أسلوبه في الحياة، وبأية نفسية يحيا، حمدت الله أنني لم أبتل بخصلة العناد، وأن حياتي المتواضعة تخلو من أية ثقوب.

* صنعاء

هايكو

حديث طويل عن الغربة مع نخلة الرصيف

لطيفة أدوهُو*

زائرتي الفراشة
من أين لي بقوة الزهرة؟
لأحملك كما يليق
■■■
نهاية المطر،
في مكان ما
تسقط آخر قطرة
■■■
ريح قوية
حتى آخر هبة تتشبث الشجرة
بالحفيف
■■■
إلى أن يهدأ الضجيج،
حديثنا طويل عن الغربة
يا نخلة الرصيف
■■■
ثمالة
على أعواد القصب
تسند الدالية وقفتها
■■■
برق،
ترمّم السماء شرخها
بسرعة البرق
■■■
الشجرة
التي عرّتها الريح،
ظلّها مورق
■■■
عكس اتجاهي
كأنه يصر على إقناعي بشيء ما،
نهر جارف
■■■
حديقة السجن،
الزهور دائماً
في فسحة
■■■
بمقدار نوتة
وقطرة،
ارتطام الحصاة بالماء
■■■
مشدوداً لزهرة النعمان
في طريقه
يدوس زهرة أقحوان
■■■
غفوة
تتهاوى في نسيم الفجر
ورقة خريفية
■■■
زهرة التوليب،
أطول منها
نفَس الفراشة
■■■
حصاد،
على الحقل
يتكوّم الحقل
■■■
زهرات الزعفران،
في عيون القاطفات يبزغ
فجر بنفسجي
■■■
ريح مباغتة،
تتمسك بقبقبِ
فستان أمها
■■■
الحبق،
عالياً يتبرعم
شُق الأصيص
■■■
في حيز فارغ
من القراغ،
رأس سروة
■■■
خابية الحوش،
الباقي عن شربتها
ترمية للقيظ
■■■
قاب غصنين،
للقمر العابر
تنحني الشجرة
■■■
سور مدرستي القديمة
ما زلت أقف
على أطراف أصابعي
■■■
الكرسي الهزاز،
يهدهد الجميلة
تهدهده الجميلة
■■■
شواهد القبور،
وددت لو أرد:
- تشرفت بالمعرفة
■■■
ضوء الأباجورة-
الحشرة شامة
على ظلها
■■■
ضوء الأباجورة،
ظل الحشرة
يسند السقف
■■■
لعشرين عاماً،
على الجدار صورة والدي واقفاً
لم يتعب
■■■
رغيف الخبز،
لأجله
تتبع الخبز
■■■
ساعتي المعطلة،
بينما أصلحها
يمر الوقت
■■■
منتصف الليل
وجه السماء الحالك
يعلوه النمش
■■■
دلو البئر،
من قلب الشمس
شربتي الباردة
■■■
لا بدائل لدى السماء
آتيها بأرق
تأتيني بقمر
■■■
قائمة التأمين،
بينما أحصي موتى محتملين
تعثرت باسمي
■■■
عيد الحب،
أستخرج شهادة عدم الزواج
لأمي السبعينية

* الفقيه بن صالح/ المغرب

إكي نو تايكا ــ «خيزران تخت ضوء القمر» (أخبار على ورق، 1758-1760)

قصائد

أحب الأبطال في السينما

ملصق فيلم «كازابلانكا» لمايكل كورتيز (1942)

رنا التونسي *

لا يخجلون من أن يتركوا دموعهم تملأ الشاشة.
يموتون ليستيقظوا في فيلم جديد.
أنا دموعي متحجرة
تركت كلماتي في البحر
والأسرار أهديتها للحيتان.
لم أعد أسبح في الحلم.
■■■
تكسر الصور
تحاول الحفاظ على الدماء في اليد.
لا أحد سيوصلك غيرك
إلى الياس.
■■■
مدن بلا أجنحة
كيف تتنفس كالغبار..
■■■
لو انفتح قلبي طريقاً يعبر منه المارة والسفن
والضحك
لو استطعت أن أعبر من خلال الكلمات الموحشة
التي تركض في صدري
وتنهشني.
■■■
أمتلئ بالكسور
لكن ما يقلقني هو أني أرتجف.
■■■
أكره الاختراعات الحديثة
التي يمكنها أن تصلني بسرعة
تجعلني أتحدث إلى النجوم
وأنا ما زلت أشعر بالوحدة.
■■■
أخاف أن أمحو كل حرف
وكأني أحرك معه
شخصاً يخرج من حياتي
■■■
ذلك الوهن
صرت أعرفه كصديق.
■■■
عيني زجاجية
ربما لو نظرت إلى السماء ستنكسر.
■■■
غرقت في سفينة
لا أعرف كيف عثرت علي.
■■■
قديماً أيها الزمان
كنت أتحدث إليك
أتخيل أني سأحكي عنك حكايات لأطفال صغار
الآن لا تهم
لأني لم أعد أذكرك.
■■■
سقطت شجرة صغيرة
أخطأت الطريق إلى النهر
تكلمت معها في لغة جديدة.
■■■
عندما أصف شيئاً أنه بشع
أعود فجأة وأنا أشعر بالحزن تجاهه
أرمّم ذلك الجزء الفاشل من مشاعري
■■■
كان عليّ أن أترك الكثير من الأشياء التي أحبها.
السرعة كانت واحدة منها،
الآن لا أعرف سوى المشي
■■■
الأبطال الخارقون
وحدهم من يفعلون كل شيء بشكل طبيعي.
■■■
الفرق الوحيد بيني وبينك هو أني أكلم نفسي
كثيراً حتى وإن كان بدون أصوات
لا أحد يلاحظ بالطبع
لكني أتكلم كثيراً مع نفسي وبخاصة عن كل
ما يسوؤني الآن
وعن جورج موستاكي وأغنيته «الدخيل» التي
ترن دوماً في رأسي كمفتاح بيت
■■■
رميت امرأة من الشباك اليوم
تركتها تسقط وحدها كالزرع الأخضر
ذاهباً إلى الشارع.
بينما المذياع يعلو بالأغاني العاطفية
الخطأ.

* القاهرة/مصر

اقتصاد

توماس بيكتي يقلب ماركس رأساً على عقب

سعيد محمد

لم يكن المفكر والخبير الاقتصادي الفرنسي توماس بيكتي (48 عاماً) بالشخصية البارزة خارج نطاق التخصص الأكاديمي الدقيق. إذ كان من المعروفين في دائرة تلاميذ أستاذه البريطاني الراحل توني أتكينسون التي تستقرئ الاقتصاد من خلال التنقيب في الإحصائيات والاستطلاعات وتقارير الضرائب. لكنه في عام 2014، تحوّل إلى ما يشبه نجم روك عالمياً بعدما لقي كتابه «رأس المال في القرن الحادي والعشرين» تقريظاً واسعاً من قِبل الخبراء في الاقتصاد والسياسة وحتى الجمهور العادي، وتسلّق قوائم الكتب الأكثر مبيعاً بعدما قدّم مرافعة مدعّمة بالإحصائيّات الدقيقة والمعلومات الموثّقة ضدّ المشروع الرأسمالي النيوليبرالي الذي كان قد أطلقه الثنائي ريغان – تاتشر في الثمانينيات. وثّق تزايد الفجوة في المداخيل بين القلّة الثريّة والأكثريّة. المعدمة أو تكاد. في المجتمعات التي فُرض عليها ذلك النّهج المتطرّف المنسوب لمدرسة جامعة شيكاغو الأميركية في نظريّة الاقتصاد. بالطبع كان انعدام المساواة فجاً ومتوحشاً وملحوظاً، لكن بيكتي أقام عليه الدليل، ممزّقاً ربما وإلى الأبد كذبة أنّ الليبراليّة. بشكلها الأنغلوفوني. هي نهاية التاريخ، ولا بديل عنها للبشريّة الاقتصاد، بل أيضاً لصياغته بطريقة أخرى أكثر عدالة وإنسانيّة.

ـ تفسّر ازدياد الفجوة الاقتصادية بين القلّة والأكثرية في اقتصادات دول البرّ الأوروبي خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي. وفق بيكتي، عندما تتجاوز نسبة العائد على رأس المال نسبة النموّ في الإنتاج والمدخول، فإنّ ذلك كفيل بمأسسة انعدام عدالة اقتصادية بين أصحاب رأس المال، والمستأجرين. رغم انتقادات تقنيّة وجهت إليها بخاصة للقول الربع العقاري في حساب العائد على رأس المال، بدت تلك المعادلة كحلّ سحري لتفسير اللحظات التاريخيّة لانعدام العدالة الاقتصادية المفرط كما كانت عليه الحال مثلاً في بريطانيا حين أوستن بدايات القرن التاسع عشر حيث النظام الطبقي المغلق، وكذلك للتنبؤ بالمستقبل، الذي كان – وفق المعادلة وسياق الأحداث – لا يبشّر بالخير للغالبيّة العظمى من البشر. إذ أن فجوة العدالة (الاقتصادية دائماً) مستمرة بالاتساع، ووفق الخبرة التاريخيّة، لم يمكن كسر تلك الحلقة من التردّي سوى في أوضاع استثنائيّة اتخذت شكل حربين عالميتين في القرن العشرين.

على أنّه رغم صرامته العلميّة، يتمتّع بيكتي، بثقافة تاريخيّة وأدبيّة واسعة انعكست على أسلوبه في الكتابة أقلّه بالنسبة إلى القراء غير المتخصصين. إذ كسر حدّة النقاش الإحصائي الأكاديمي الطابع لموضوعة كتابه عبر ربطه باقتباسات ذكيّة من نصوص أدبية لروائيين سجلوا صورة العصور التي عاشوها. كما بلزاك وأوستن وغيرهما .ليُظهر كيف شكّل انعدام العدالة الاقتصادية طرائق العيش في العقود المتتابعة منذ ظهور النظام الرأسمالي بصورته الحديثة، وتماماً كما هو الحال اليوم. مثل كتاب «راس المال في القرن الحادي والعشرين» نوعاً من صدمة للجمهور العادي في العالم الأنغلوفوني الذي كان يميل إلى اعتبار نقد اليسار للرأسماليّة المتأخرة نوعاً من ثرثرة مؤدلجة متأتية من تفاوت موقع النظر. لكنّه كان أيضاً صفعة قاسيّة لمنظومة علم الاقتصاد السياسي في الجامعات الغربيّة التي كانت وإلى وقت قريب تعتبر أنّ التركيز على محاولة التأثير على توزيع الدخل في المجتمع وصفةً للفشل الاقتصادي، وسمّاً زعافاً إن تجرّعته الاقتصادات المزدهرة (تعبير السرّ تحديداً استخدمه الشيكاغوي روبرت لوكاس الحائز نوبل في الاقتصاد 1995). بدا سريعاً أن بيكتي هزّ المؤسسة من جذورها، وتجرأ اقتصاديون عديدون بعده على مناهضة طروحات النظريّة النيوليبراليّة الساعية أبداً لتحقيق توازن اقتصادي من دون النظر في توزيع المداخيل، والمطالبة بسياسات ضريبيّة فاعلة متصاعدة على المدخول تكون عابرة للدول بحيث تمنع تهرّب الأثرياء من الدّفع. وتضمن حداً أدنى من العدالة في الدخل بين مختلف الفئات. ورأينا في السنوات الأخيرة جوائز نوبل تُمنح لاقتصاديين نظروا لقدرة المداخيل على تقليص فجوة المداخيل بين طبقات المجتمع وإنهاء حالة الفقر (أبيجيت بانيرجي وإيشتر دافلو)، أو للطرائق التي يتسبب فيها النموذج الرأسمالي للاقتصاد بتقصير أعمار البشر في الولايات المتحدة (أنجس ديتاون)، إضافةً إلى كتب وضعها اقتصاديون منشقّون بارزون تتهم علم الاقتصاد النظري بأنّه مدّع يحاول الظهور بمظهر العالم من خلال استخدام بعض المعادلات، بينما فقد الاتصال نهائياً بالصورة الكليّة للمعرفة الإنسانيّة في المجالات الموازية (السوسيولوجيا والسياسة والثقافة)، أو الصلة بالهموم الأساسيّة للمجتمعات المعاصرة.

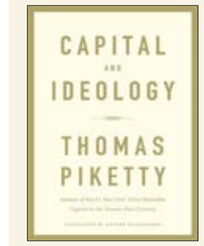

الخلاصة «البيكتية» تقول بأن البنية الأيديولوجية للمجتمع تشكّل نظامه الاقتصادي

ورغم أنّ «رأس المال في القرن الحادي والعشرين» بدا شكلاً ومن بعيد كأنّه تجديد معاصر للنقد الماركسي للمنظومة الرأسماليّة، إلا أن بيكتي باعد نفسه عن كتاب «رأس المال» لكارل ماركس، معتبراً أن «الكتاب المقدّس» لليسار ليس علمياً بما فيه الكفاية، ولا يعتمد على معلومات وما نتج عن هذا التغيّر في شكل النص الروائي.

يبدو بيكتي في الكتاب الجديد كأنّه يستهلك أكثر من ألف صفحة ليعيدنا إنفتاحاً في التعامل مع زملائهم في العلوم الأخرى بل يتعلمون منهم ويعملون معهم في مشاريع بحث مشتركة فيما ينعزل الاقتصاديون الأميركيون في شرنقاتهم الخاصّة. وهو شخصياً طالما اعتبر نفسه باحثاً عاماً في العلوم الإنسانيّة، لا مجرّد متخصّص في الاقتصاد البحت.

في «رأس المال والأيديولوجيا»، لا يتجاهل بيكتي الهفوات والانتقادات المحقّة التي تلقّاها كتاب «القرن الحادي والعشرين». ولذا فهو يجعل من هذا السفر الجديد المضاعف الحجم تصحيحاً على مستوى ما للتعريف المرسل لمفهوم العائد الاقتصادي (ع) كما في «القرن الحادي والعشرين»، مؤكداً أهميّة السياسات الاستراتيجية التي تتبنّاها المجتمعات (نخبها الحاكمة غالباً) في تحديد قيمة ذلك العائد. وهو في ذلك ينظر تاريخياً إلى الخيارات السياسية والمعايير الثقافية التي تحكم طريقة توزيع الثروة في المجتمع وتكوينه الطبقي والأسس العقائديّة والتقاليد والممارسات السائدة. يجمعها بيكتي هنا تحت مظلّة الأيديولوجيا التي «تعقلن» ثراء الأثرياء وفقر الفقراء كطبيعة للأشياء بدلاً من حقيقتها بصفتها نتاج هيمنة لطرف على الآخر، فكأنّ طموحه تقديم نظريّة معرفيّة شاملة لا تفسّر انعدام العدالة الاقتصادية فحسب بل كل التجربة الإنسانيّة في الاجتماع منذ فجر التاريخ. قراءة بيكتي للحقب المتعاقبة تخضع للمنهجيّة الصارمة ذاتها التي تعوّل على المعلومات والإحصاءات كأساس لبناء الاستنتاجات. في سرده لتاريخ النظام الفرنسي الملكي السابق على الثورة، يستند مثلاً لتحديد حجم الطبقة الأرستقراطية إلى قوائم قروسطيّة قديمة تسجّل أسماء الفرسان النبلاء الذين كان يمكن استدعاؤهم للمعارك الحربيّة وكذلك سجلات ملكية الأراضي في تلك الفترة. وفي وصفه اقتصاديات الإمبراطوريّات الاستعماريّة الكلاسيكيّة في العصر الجورجي (بريطانيا وكذلك فرنسا)، يحسب بالأرقام بأن الفائض الاقتصادي الذي تمتعت به تلك الإمبراطوريات وكان يتحقّق من «حلب» مستعمراتها الصغيرة عبر نظام العبوديّة، تم تعويضه لدى إلغاء العبوديّة لاحقاً في العصر الفيكتوري من خلال توسيع الرقعة الاستعمارية ونهب ثروات الشعوب المهزومة. ومع ذلك، فإن بيكتي لا يسقط في فخ التّفصيل على حساب الفكرة الكليّة للكتاب، التي تبقى دائماً بسيطة ومحددة: الأفكار ـ معبراً عنها بالأيديولوجيا ـ تشكّل أقدار البشر الاقتصادية.

لمحات

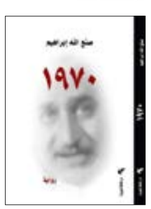

صنع الله ابراهيم

عن دار «الشقافة الجديدة»، صدرت «1970» للروائي المعروف صنع الله ابراهيم. أحد أبرز رموز جيل الستينيات في الأدب المصري. تؤرّخ الرواية لعام رحيل الرئيس المصري جمال عبد الناصر من خلال مجموعة من الأبطال العاديين، كاشفة عن المكانة التاريخية والوجدانية لناصر. علماً أن ابراهيم تعرّض للاعتقال خلال الفترة الناصرية من عام 1959 حتى عام 1964.

زياد كاج

عن «دار نلسن»، صدرت «أمر فظيع يحصل» للكاتب اللبناني زياد كاج. إنه العمل الروائي الأول الذي يتناول مجزرة صبرا وشاتيلا، من منظار متطوّع عمل في الدفاع المدني، «اكتشف الموت بأبشع صوره». تعيدنا الرواية إلى عام 1982، تاريخ ارتكاب ميليشيات اليمين اللبناني المجزرة، بتغطية من الاحتلال الإسرائيلي، ويُسقط فيها الكاتب تجربته الشخصية ومشاهداته الحيّة، خلال فترة تطوعه في «الدفاع المدني اللبناني».

سليم اللوزي

بعد «ذبائح ملوّنة» و«خلف العتمة»، صدرت الرواية الثالثة للكاتب اللبناني الشاب سليم اللوزي (1986). «زبد أحمر» (هاشيت-أنطوان) تنتمي إلى أدب الخيال، تنطلق من أحياء طرابلس الفقيرة، حيث الحالمون بحياة مختلفة، اعتقدوا أنهم سيجدونها خلف البحر الأزرق الكبير، ويصلون من خلاله إلى «الجنة».

شهلا العجيلي

استمراراً لعملها الأكاديمي في حقل الدراسات الثقافية، أصدرت الكاتبة الأردنية - السورية شهلا العجيلي، كتابها «الهوية الجمالية للرواية العربية». رؤية ما بعد استعمارية» (منشورات «ضفاف» و«مجاز» و«الاختلاف») الذي يتناول علاقة النّص الروائي منذ نشأته في نصف القرن التاسع عشر، وسياقاته الثقافية، وتحوّل الدولة الدينية إلى قومية. وسيعى من خلالها للتعريف به للأجيال القادمة وتقديم الفيلسوف الشهير كأحد أهم من ترك بصمة في الحياة الفكرية التي قضاها ما بين الأندلس والمغرب.

ماجد احمد الزاملي

«حقوق الإنسان في زمن العولمة الرأسمالية»، كتاب صدر عن «دار الفارابي» للباحث العراقي ماجد أحمد الزاملي. يقتفي الكاتب الفرنسي من أصول مصرية جيليبرت سينويه (1947)، في هذه الرواية آثار الفيلسوف ابن رشد، والصعوبات التي واجهها في حياته ناهيك بالتبعية الاقتصادية للبلدان المتطورة. في ظلّ غياب الإرادات العربية لتحقيق العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للرأسمال القومي.

جيليبرت سينويه

عن «منشورات الجمل» صدرت الترجمة العربية لرواية «ابن رشد أو كاتب الشيطان» (ترجمة شكير نصر الدين). يقتفي الكاتب الفرنسي من أصول مصرية جيليبرت سينويه (1947)، في هذه الرواية آثار الفيلسوف ابن رشد، والصعوبات التي واجهها في حياته ناهيك بالتبعية الاقتصادية للبلدان المتطورة. في ظلّ غياب الإرادات العربية لتحقيق العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للرأسمال القومي.

رواية

عبد الوهاب عيساوي: الرواية من باب التاريخ

سارة سليم

لاحظ المتابع للمشهد الأدبي العربي أن دورة «الجائزة العالمية للرواية العربية» (بوكر) جاءت مميّزة هذه السنة، كونها ضمّت أهم الأسماء الأدبية في الوطن العربي، ومن أجيال مختلفة، كما يلاحظ أن الحضور الجزائري في القائمة الطويلة كان لافتاً بحضور أربعة من أبرز الكتاب الجزائريين من الجيل الجديد. هذا بحدّ ذاته يعدّ حدثاً مهماً في تاريخ الرواية الجزائرية، لم تشهده «بوكر» سابقاً، خصوصاً أن الأدب المغاربي عامة، والجزائري خاصة لم يُلتفت إليه بالشّكل الكافي عربياً جاءت الجائزة في نسختها الحالية لتسلّط الضوء عليه. يعتبر القائمة القصيرة بشرى بسرد جزائري قدّم هذه السنة قيمة مضافة للرّواية العربية عبر تاريخها. من بين روايات القائمة القصيرة لهذه السنة «الديوان الإسبرطي» لعبد الوهاب عيساوي الصادرة عن «دار ميم» (الجزائر).

سنغوص في مكامن «الديوان الإسبرطي» عبر جملة جاءت على لسان إحدى شخصيات روايته: «هؤلاء يجمعهم الفضول وتفرّقهم الحقيقة»، بينما يشدّنا إلى هذه الرواية الفضول، وتجمعنا فيها الحقيقة المسكوت عنها، تلك التي تتعلّق بالجرائم التي قامت بها فرنسا بحق الجزائريين، إذ لم تسلم حتى عظامهم وأرسلت إلى فرنسا لتستعمل كمادة لتبييض السكر. وقد جاءت الرواية أيضاً على ذكر مخلّفات الوجود العثماني في الجزائر منتقدة إيّاه بشدّة. لقد جاء على لسان إحدى الشخصيات «بعض الحروف لا تحتاج إلى الإطالة، كلّ يحتفظ بوجهة نظره»، لكنّنا هنا لن نحتفظ بوجهة نظرنا، فالنص عبارة عن ملحمة تاريخية لا يمكن أن نمر عليها مرور الكرام. تعتبر «الديوان الإسبرطي» الرواية الجزائريّة الأولى التي كتبت التاريخ سردياً، وأحالت أحداثه إلى بوصلات وإشارات ورموز. وبتفكيكها نصل إلى حقيقة المحروسة، الجزائر حيث يحاكي النص واقعها الراهن من خلال تناوله التاريخ، موظّفاً خمسة أصوات سردية لديها الكثير لقوله في هذه الرواية. أوّل شخصيات الرواية هي ديبون: صحافي فرنسي، كان يأمل في إعلاء راية المسيح في ربوة القراصنة، ثم يكتشف أن القتل والتدمير والاستيطان هو مبتغى الفرنسيين منذ البدء. هكذا يتحوّل إلى متعاطف مع الجزائريين. كافيار هو مهندس الحملة، حمل الكره والحقد على أرض أسر واستُعبد فيها سابقاً، لذا قرّر الولوج إليها غازياً كي يثأر لنفسه. هناك أيضاً ابن مبّار الذي كان يناصر العثمانيين ويدافع عنهم على أمل عودتهم، فيما تمثّل شخصيّة حمّة السّلاوي صوت الجزائري الشهم المحبّ للجزائر، والمدافع عنها ضدّ كل سيطرة، سواء أكانت عثمانية أم فرنسية. أما دوجة، فتمثّل الصوت الأنثوي، فتاة مُهمّة بأنها «أضاعت شرفها» لكنها ما ضيّعت شرف الوطن، وهي تمثّل أيضاً العاشقة التي تبتغي حياة أمثل وحباً على مقاس أحلامها.

تحكّمت هذه الشخصيات الخمس في النص، وجعلته يدور في قالب تاريخي يربط ماضي المحروسة بحاضرها، يُسرد بطريقة تجعل الآخر يُطالع الأحداث كأنه يشاهد لوحة المونالیزا من زوايا متعدّدة، حيث لكل زاوية نظرتها المختلفة عن الأخرى. اللافت في شخوص «الديوان الإسبرطي» أنها تعتيش في كلّ زمان ومكان، لا يسرد مرحلة معيّنة من تاريخ الجزائر، إلّا أنه متعدّد الأصوات والصور لما تحرصه الشخوص عن طريق الاستيطان من مواضيع، ربما هذا ما ميّز الرواية، أي أننا نتعرّف إليهم من الداخل وليس من الخارج بخلاف ماهو شائع في الروايات.

لعلّ «الديوان الإسبرطي» هي رواية الماضي التي تروي الحاضر. كلّ قارئ سيفهم الرواية حسب اطلاعه، وسيكتشف أشياء لم يكن يعرفها قبلاً. في الوقت ذاته، لا ينتقص هذا الأمر من متعة القراءة، لأنه من الظلم أن نربط الرواية بالتاريخ وحده، بينما كلّ شخوصها متخيّلة، لكنّ التاريخ كان الخلفية التي تُعرض فيها خطاباتها. كتب عيساوي التاريخ من أبوابه الواسعة، إذ تطرّق إلى معركة واترلو الشهيرة التي هزم فيها الإنكليز نابليون. وهذا ما يُظهر مدى اجتهاده واشتغاله على نصّه ليخرج لنا بهذا الزخم الإبداعي المتفرّد. ظهر عنوان الرواية «الديوان الإسبرطي» أول مرة في الصفحة 184، إذ نقرأه على غلاف كتاب أو مذكرات يحملها المهندس كافيار وهو يقاسمه الغرفة في السفينة، ثم يقدّم كافيار (في ص189) مختارات من الديوان الإسبرطي، أي أن الكاتب استهلك نصف الرواية كي يهيئ القارئ لهذا الديوان. أما صورة الغلاف، فهي حادثة المروحة الشهيرة التي كانت ذريعة لدخول الاستعمار الفرنسي الجزائر من ميناء سيدي فرج عام 1830.

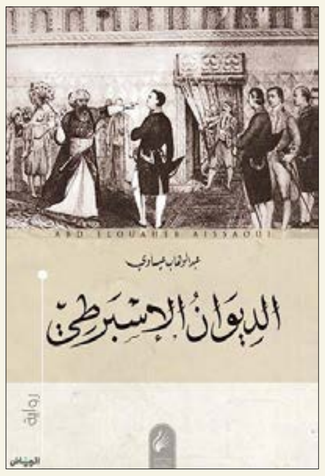

تقارب الرواية جرائم فرنسا بحق الجزائريين

بعد اطلاعنا على تجارب روائيّة عدّة لم تحقّق مثل هذا الإبداع في تناولها للتاريخ، كونها استعانت بأبطال جاهزين تاريخياً، يمكننا القول إن «الديوان الإسبرطي» أوّل رواية تاريخية جزائرية. نقول رواية ولا نقصد بذلك تلك الروايات التي لا فارق بينها وبين كتب التاريخ. إذ حين يكتب عبد الوهاب عيساوي رواية، فإنّه يطوّع التاريخ ولا يطاوعه، عبر بناء سرد موازٍ للحدث التاريخي للانطلاق منه في أحداث وشخصيات مخيالية. اللغة التي يكتب بها عيساوي بسيطة لا تفذلك فيها ولا تقعّر فيها، إذ تتناسب مع الحقبة التاريخية التي تحدث عنها. يلاحظ القارئ أن كلماتها تحمل بين طياتها ثقل التاريخ، ولا يمكن أن تتجاوز عدداً من الصفحات من دون الرجوع إلى محرّك البحث، لفهم ما يرمي إليه. حتى إن المعلومات التي استقاها من الكتب، لم يضعها فقط لأنه أراد أن يكتب عن أحداث تاريخية إنما وظّفها ببراعة ضمن متنه الروائي.

يبدو عبد الوهاب عيساوي كما لو أنه يكتب بطريقة الفلاش كاردز. أي أنه يرسم برأسه مخططاً كاملاً للعمل، ثم يحدّد الشخوص، ويكتب المشاهد منفصلة، وحين ينتهي يربط بعضها ببعض، بعد ذلك يستمتع بالزيادة والنقصان حسب مقتضيات العمل مثل لعبة الشطرنج. إذ أنه من غير المعقول أن يكتب عملاً تاريخياً بحجم الديوان الإسبرطي بهذا الارتباط والإتقان من دون أن يضع له مخطّطاً واضح المعالم مسبقاً، ما يذكّر بنجيب محفوظ حين كان يضع مخططاً لرواياته. هذا ما يثبّت أن كل من درس اختصاصاً علمياً في الجامعة يمكنه كتابة الرواية بشكل أفضل، لذا صدق الروائي الجزائري الكبير رشيد بوجدرة حين قال: «الكتابة مثل الرياضيات». حافظ عبد الوهاب على المستوى نفسه في جلّ رواياته ومؤلّفاته، بدءاً بروايته الأولى «سينما جاكوب» (2012)، ومجموعته القصصية «مجاز السرو» (2013)، ورائعته «سيبرا دي ميوريتي» (2016)، و«الدوائر والأبواب» (2017)، و«سفر أعمال المنسيين» (2018). هكذا رسّخ عبد الوهاب عيساوي اسمه في مجال الرواية التاريخيّة مجدّداً مع عمله الأحدث «الديوان الإسبرطي».

فلسفة

«في اليقين»... ملاحظات لودفيغ فتغنشتاين قبل الموت

عبد الرحمن جاسم

في كتابه «في اليقين» (دار الفارابين) الذي ترجمه وقدّم له المترجم الأردني مروان محمود، يطرح الفيلسوف وعالم المنطق النمساوي الراحل لودفيغ فتغنشتاين (1889-1951)، نقاشات خاصة حول المعرفة، الحس المشترك، المعرفة واليقين، الممارسات الإنسانية، كما دخل عالم المذاهب الفلسفية. الكتاب الذي صدر أساساً في عام 1969، وكتبه فتغنشتاين خلال مرضه آخر حياته، يغوص عبر منهج بحثي/ تحليلي خاص في عوالم فلسفية، لربما بعيدة عن القارئ العربي، الذي يدخل عوالم هذه الكتب بمجملها ضيفٍ لا أكثر ولا أقل؛ إذ يكفي فقط أنه احتجنا لأكثر من ثلاثين عاماً تقريباً حتى نترجم كتاباً بهذا الحجم الصغير (يقع النّص الأصلي في أقل من مئة صفحة من القطع الصغير).

يرى كثيرون أن فتغنشتاين، واحد من آباء فلسفة القرن العشرين، إذ يمكن اعتبار كتابيه «رسالة منطقية فلسفية» و«تحقيقات فلسفية»، من علامات القرن العشرين في هذا المجال. في الإطار نفسه، يمكن ردّ «الثورة» الفلسفية بعد مرحلة الحرب العالمية إليه كواحد من منظّريها. يجوز القول في فتغنشتاين بأنه «تلميذ» نيتشوي (نسبة إلى الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه)، لكنه تجاوز ذلك، حين «غيّر وجهة وطريقة التفكير الفلسفي المعتادة في التعامل مع المسائل الفكرية». درّس الفلسفة في جامعة «كامبريدج» البريطانية العريقة ثم تركها في عام 1947 مركّزاً على إنتاجه الكتابي والمعرفي، ليعيش بعد ذلك عزلة اختيارية في قرية صغيرة في إيرلندا (تحديداً في كيلباتريك شرق مقاطعة ويكلاو)، حيث تفرّغ وقتها لكتاباته وإن كان يظلّ يتزاور ويتواصل مع شخصيات فلسفية معروفة مثل باتريك لينش ونورمان مالكولم الذي تحتل نقاشاتهما صفحات الكتاب الماثل بين أيدينا. لربما من أبرز أفكاره هي انتقاده لاستسهال «التفلسف» في أمور كثيرة، ما يوقعنا في فخ «الدوغمائية/ الجزمية» (أي التعصّب الشديد لنفس الفكرة) تحديداً حسب توصيفه الحرفي. هو شخصياً كان قد وقع في هذا الفخ بعد كتابه الأوّل «مصنّف منطقي فلسفي» الذي كتبه في بدايات حياته، والذي اعتبر أنّه من خلاله «حل كلّ مشكلات الفلسفة، ولم يعد هناك ما يقال فيها»، ما دفعه إلى ترك المجال نهائياً والعمل في مهنٍ بسيطة مثل بواب وجنائني وغيرها من المهن الحرفية البسيطة. عام 1928 كان عام عودته إلى الفلسفة حينما عاد إلى الكتابة والدراسة في هذا المجال بعدما اكتشف أنه كان ضحية «لدوغمائيته» من دون أن يدري.

كتب فتغنشتاين «في اليقين» في السنتين الأخيرتين من حياته؛ وهو عبارة عن ملاحظات ومقالات ورسائل تبادلها مع صديقه الفيلسوف الأميركي الراحل نورمان مالكوم (1911-1990). يبدو الكتاب في كثيرٍ من نصوصه منهجاً متهالكاً أكثر من أيّ شيءٍ آخر. إذ كانت صحة الفيلسوف النمساوي حينها تتدهور شيئاً فشيئاً جراء مرض السرطان الذي ألمّ به، وقد كانت نصوصه تتراجع جزّاء ذلك: جزّاء المرض، العلاج القاسي، وقوة الأدوية التي أثرت لا على جسده فحسب، بل أيضاً على منطقه العقلي وطريقته التحليلية في التفكير.

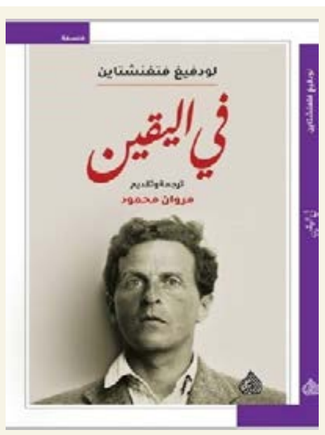

يضم ملاحظات ومقالات ورسائل تبادلها مع صديقه الفيلسوف نورمان مالكوم

يشير في إحدى الرسائل إلى مالكوم: «إذا تمكّنا من أن نلتقي، فستجدني بطيئاً جداً وغبياً. أحظى بلحظات وعي قليلة جداً، أنا لا أكتب أبداً، لأن أفكاري لم تتبلور بما فيه الكفاية». هو يعود ليكتب مجدّداً كلما استطاع -في تلك الفترة- فيبتهج إثر ذلك: «حدث شيء رائع بالنسبة لي. منذ حوالى الشهر، وجدت نفسي على نحو مفاجئ في الإطار الصحيح للعقل لممارسة الفلسفة. كنت على يقين تام من أنني لن أتمكن مرة أخرى من القيام بذلك. إنها المرة الأولى بعد أكثر من عامين التي يرتفع فيها الستار عن عقلي». هذه الكلمات كانت من الرسالة الأخيرة التي أرسلها فتغنشتاين إلى مالكوم قبل ثلاثة عشر يوماً من رحيله؛ وقالها إثر انتهائه من كتابة الجزء الرابع من هذا الكتاب والذي اعتبره «أفضل أجزائه».

يناقش الفيلسوف النمساوي في الكتاب أفكار الفيلسوف الإنكليزي الأشهر في العصر الحديث جورج مور. مور الذي قرّب الفلسفة من «اليومي/ المعتاد» واهتم كثيراً بمفهوم «الأخلاق» حتى يمكن اعتبار كتابه «أصول الأخلاق» أساساً في إعادة الاهتمام -فلسفياً- بهذا الموضوع في فلسفة القرن العشرين. يناقش فتغنشتاين مور كثيراً وفي عدّة مواضع، ويضع نقاشاته أمام نقاشات مور مشيراً إلى أنّ الآخير في كثير من الأماكن كان «غير منطقي» و«مخطئاً». هو كتاب مهم بالتأكيد، ويمكن المراكمة عليه، لكن لا يمكن قراءته وإدراكه بمعزل عن قراءة كتب وتجربة فتغنشتاين ككل، إذ إن كثيراً مما فيه هو «تكملة» أو «إيضاح» أو نقاش لما سبق وتحدّث به سواء في حياته اليومية/العملانية أو في كتبه السابقة. عربياً، بالتأكيد تحتاج المكتبة العربية إلى هذا النوع من الكتب، كي تستطيع أن تهدم هوة تتعاظم كل يوم بسبب ابتعاد الفلسفة العربية الكلي -تقريباً- عن مجالات التفكير الحديث.

أوراق

من مجموعة «على طريق الحزن» للفنانة الأوكرانية نينا مارشينكو (زيت على كانفاس ـ 2001/1999)

فأذاقهم الله (لَيَاس؟) الجوع والخوف بما كانوا يصنعون!

زكريا محمد *

ما زال بإمكان المرء أن يثير تساؤلات حول معنى آية سورة النحل:
«وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» (النحل 112).
وكما نرى، فلدينا في هذه الآية استعارة غريبة جداً: «فأذاقها الله لباس الجوع والخوف». والغرابة تكمن في أن اللباس صار محلاً للذوق. فللجوع وللخوف لباس، وهو لباس يذاق! وهنا مكمن الغرابة. ولو أزحنا اللباس من الجملة، فسوف تكون لدينا استعارة عادية ليس فيها أي شيء غريب أو استثنائي: (أذاقها الله الجوع والخوف). لكن وجود اللباس يجعل الأمر غريباً، بل الأشد غرابة في ما يبدو لي. وهذه الغرابة هي ما انصبّ على محاولة تعليلها جهد جزء كبير من المفسّرين. يقول مفسر حديث: «ذلك أنَّ الإذاقة يلائمها الطعم للجوع والخوف؛ فيرد الكلام على نحو: «فأذاقها الله طعمَ الجُوع والخوف»، وأنَّ اللباس يلائمه لفظ الكساء؛ فيرد التعبير على نحو: «فكساها لله لباس الجوع والخوف». لكنه البيان المحكم المدهش لأرباب البلاغة والبيان؛ إذ خرج عن المتوقَّع فكان «فأذاقها لله لباس الجوع والخوف». وذلك ليعرجَ البيان الإلهي المعجز فوق طاقات البشر البيانية في الدقة والإحكام... فلو قيل «فأذاقها الله طعم الجوع والخوف»، أو «فكساها الله لباس الجوع والخوف» لخفتَ بذلك بريق المعنى وانحسر نبع البيان وغار» (https://islamonline.net/31498).
وكما نرى، فالإذاقة لا تتوافق في الوضع العادي مع اللباس. لكن الحلّ عند أصحاب النموذج أعلاه يجري عبر ربط القضية بالبيان الإلهي المعجز، الذي «خرج عن المتوقّع» و«عرج... فوق طاقات البشر البيانية». أي أنه لا يجري حل المسألة بالمنطق اللغوي، الذي يجب أن تحل به القضايا اللغوية في القرآن أو غيره، بل عبر ربطها بالإعجاز الإلهي. وبناء على هذا الربط يصير ما هو مشكل لغوياً دليلاً على الإعجاز. وهذا أمر خطر. فحين لا تجد طريقة منطقية لتفسير الإشكال، فما عليك سوى جعله مظهراً من مظاهر الإعجاز الإلهي. لكن وراء هذا كله، من الواضح أن ربط الذوق باللباس مثّل صداعاً لم يكن سهلاً التخلّص منه.
على أي حال، فقد انتهى الاتّجاه السائد إلى العجز عن تفسير ارتباط اللباس بالذوق: «فاسْتِعمالُ الذَّوقِ مع اللِّباسِ من أَجلِ أنّه أُرِيدَ بِهِ التَّجْرِبَةُ والاخْتِبار... كأنّه قِيلَ: أذاقَها الجُوعَ والخَوْفَ، وأَلْبَسَها لِباسَهما» (الزبيدي، تاج العروس). وكما نرى فبهذا التفسير يجري الفصل بين الذوق واللباس. فاللباس لا يُذاق بل يلبس لبساً. وحين لا يفصل نهائياً بين الذوق واللباس، يقال لنا إن المقصود باللباس إنما هو الشمول والتغشية: «أما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف، فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس، فكأنه قيل: فأذاقه ما غشيهم من الجوع والخوف» (الزمخشري، الكشاف).
أما أنا، فقد أثارتني الجملة القرآنية أعلاه كما أثارت غيري. وكنت أفكر في اللباس الذي يُذاق، ثم أنساه، ثم أعود إليه. وكان في ذهني دوماً أحد احتمالَين بشأن مسألة هذا اللباس:
الأول: وقوع تصحيف ما في كلمة (لباس).
الثاني: أن كلمة (لباس) هذه فُهمت خطأً، وأنها تعني شيئاً ليس له علاقة بالملابس.
لكنّني لم أصل إلى ما يتيح لي القول بأحد الاحتمالين. ظلّت القضية لغزاً بالنسبة لي، وظلّت الآية تراودني بين الحين والحين إلى أن بدا لي، أخيراً، أنني حللت أمرها. وهو حلّ أود أن أطرحه للجدال في هذه المادة.
يقوم هذا الحل على فرض وجود تصحيف بسيط جداً في كلمة «لِبَاس». فالأصل أنها «لَيَاس»، بالياء لا بالباء، من الجذر (ليس). بذا فالآية تقول في الأصل: «فأذاقها الله لَيَاس الجوع والخوف». وقد قرئت الكلمة بالباء بسبب عدم وجود التنقيط في البدء. والجذر (لَيَس) في القواميس يعطي معاني عدة. لكن المعنيين الرئيسيين له هما: اللزوم والدوام ثم الشدّة. وقد ورد تحت هذا الجذر: اللَّيَس واللَّيَاس:
«اللَّيَسُ: اللُّزُوم، والأَلْيَسُ: الذي لا يَبْرَح بيتَه. واللَّيَسُ أيضاً: الشدة... وإِبِلٌ لِيسٌ على الحَوْض: إذا أَقامت عليه فلَمْ تبرحه» (لسان العرب). ومن معنى الشدة صار الشجاع يدعى لِيساً، فهو قويّ شديد: «اللَّيَسُ، مُحَرَّكة: الشِّدَّة و الصَّلابَةُ... واللَّيسُ واللُّوسُ: الأَشِدَّاءُ» (الزبيدي، تاج العروس).

> ظلت الآية تراودني بين الحين والحين إلى أن بدا لي، أخيراً، أنني حللت أمرها

هذا في ما يخص «اللَّيَس».
أما اللَّيَاس بألف بعد الياء، فتعطي معنى مشابهاً لمعنى «الليس»: «اللَّيَاسُ... الزُّبُون لا يَبْرَحُ مَنْزِلَه، كما نقلَه الصَّاغَانِيُّ» (الزبيدي، تاج العروس). و«لَيَاس» هذه هي التي صُحِّفت إلى «لِبَاس» في الآية حسب افتراضي. فعند غياب التنقيط، يسهل قراءة «لياس» على أنها «لباس». وهذا ما حصل في ظني.
وإذا صح هذا الظن، فالآية تتحدث إذن عن «لَيَاس» في الأصل. وهي كلمة يجب أن تعني أحد المعنيين الرئيسيين للجذر: الدوام واللزوم أو الشدّة. وفي حال أن المعنى الأول هو المقصود، فسيكون منطوق الآية أن الله أذاقهم جوعاً وخوفاً دائمَين لا يبرحانهما. بذا فالذوق مرتبط بزمن الجوع والخوف لا باللباس. أمّا في حال المعنى الثاني، فإنّ الله أذاقهم الجوع والخوف في شدتهما ومشقتهما وسوئهما. وعليه، فالذوق مرتبطٌ بالشدة لا باللباس. والاحتمالان ممكنان. ولكل واحد نقطة قوّته. فالاحتمال الأول يقويه أن المعنى الأصلي للجذر (ليس) هو اللزوم والدوام في ما يبدو. أما الثاني، أي معنى السوء والشدة، فتؤيّده آيات عديدة في القرآن تربط التذوق بالشدة وسوء الحال:
- «وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ» (الأنفال: 51).
- «أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» (آل عمران: 106).
- «ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون» (يونس 52).
- «فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا» (الزمر: 26).
- «فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم» (التغابن: 5).
ولا أستطيع أن أحسم رأيي بشأن أيّ معنى هو المقصود بينهما، فالاثنان يصلحان للآية.
وإذا صح ما أقول، فإنّ الاضطراب الذي أحدثته الآية لدى أجيال من المفسّرين نبع من نقطة زائدة لا غير. أي من قراءة الياء على أنها باء. ومثل هذا التصحيف وارد جداً، وممكن جداً. فالياء عند عدم وجود التنقيط قد تقرأ ياء أو تاء أو ثاء، كما هو معروف لدى من اهتمّوا بالتصحيف في الكتابة العربية.
على أي حال، يجب علينا الانتباه إلى أن الآية آية تقابل. فهي تضع شيئاً طيباً في مواجهة شيء سيئ ومعاكسته: فهناك الرغد الذي هو الوفرة ولين العيش (يأتيها رزقها رغداً) مقابل اللياس، الذي هو الشدة أو تطاول زمن الجوع والخوف (لياس الجوع والخوف). أي الليونة مقابل الشدة. وهناك أيضاً الأمن والاطمئنان (آمنة مطمئنة) مقابل «الخوف» ولياسه، أي شدته أو استطالته. فالعطف في الآية يعني: لياس الجوع ولياس الخوف. وهذا التقابل الواضح يؤيّد اقتراحي بأن الأمر لا يتعلق باللباس بل باللياس، أي بالشدة والسوء.
بناء عليه، فالاستعارة التي بدت غرائبية، بل وسريالية، والتي تجعل اللباس يُذاق، ليست من القرآن، بل من مصحّفيه. أما الحبر الذي هُدر على تفسير ما أتى به هذا التصحيف، فقد كان يمكن توفيره لو أنّ أحداً ما فكر في أن الأمر كله قد يكون نتاج تصحيف بسيط. وفي النهاية، فإنّ كلّ كشف عن تصحيف في القرآن إنما يأتي في سياق «الحفظ» الذي تحدث عنه القرآن ذاته: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لحافظون» (الحجر 9). فالله يحفظ بجهد من يستعيد قراءته الأصلية من دون تصحيف.

* شاعر فلسطيني